شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء لكهنؤ الهند

العـــدد الرابع

المجـــلد ٣٦ — ذو الحجة ١٤١١هـ — يونيو و يوليو ١٩٩١م

البعث الإسلامي

تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص ب ٩٣ لكناؤ، الهند

☎ 72386 — 73864

REGD No. LW /NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

قصص من التاريخ الإسلامي
للأطفال

بقلم : سماحة العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

انطلاقاً من الشعور الأكيد بتكوين مكتبة أدبية إسلامية للأطفال ، اختار المؤلف مواد جديدة من كتب التاريخ و صاغها في لغة سهلة ، و أسلوب مبسط لائق بمستوى الأطفال ، و الذين حصلت لهم إلمام باللغة العربية ، وبدأوا يفهمون اللغة السهلة الميسرة.

هـذا الكتاب القصصي الجميـل يحتوي عـلى ١٨/ حكاية إسلامية مختارة .

قام بالنشر و التوزيع :
رابطة الأدب الاسلامي ، ندوة العلماء
ص- ب ٩٣ لكهنؤ (الهنـــد)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوي من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها:

فضيلة الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير:

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الرابع — المجلد السادس و الثلاثون

ذو الحجة ١٤١١ — يونيو و يوليو ١٩٩١م

المراسلات:

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص.ب ٩٣ لكناؤ الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C o. Nadwatul Ulama
P O Box 93. Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

★ الافتتاحيـــــــــــة

موسم الحج لعام ١٤١١هـ و مخلفات حرب الخليج — سعيد الأعظمي — ٣

★ التوجيـــــــــــه الاسلامي

الايمان بالملائكة — معالي الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ١٠

أكبر خطر على العالم العربي — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١٤

« هداية الحيارى » — دكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٤

★ الدعوة الاسلاميـــــــــة

أساليب الدعوة في الآيات الكونية — الدكتور الحافظ احسان الحق — ٣١

★ دراســـــات و أبحـــــاث

المنهاج الاسلامي لحل المشكلة التربوية في مصر — الأستاذ علي عبد الموجود القاضي — ٤٣

لعب بن زهير ، نسيبه و شعره — الأستاذ المحقق أبو محفوظ الكريم معصومي — ٥٦

★ الفقـــــــه الاســـــــلامي

« ولاية المرأة في الاسلام » — فضيلة الأستاذ محمد قاسم المظفر فوزي — ٦٦

المصالح الاجتماعية — الأستاذ محمد خالد سيف الله الرحماني — ٧٧

★ نماذج من نســـــــــاء العقيدة

بركة (أم أيمن) — فضيلة الأستاذ محمد حسن بريغش — ٨٢

★ أعلام الأدب الاســـــــــلامي

باكثير في ملحمة عمر — السيدة سامية وفاء بنت بهاء الأميري — ٨٨

★ أخبار اجتماعيـــــة و ثقافيـــــة

جائزة الملك فيصل لعام ١٤١١هـ — قلم التحرير — ٩٧

تجمع إسلامي كبير في القاهرة بعد حرب الخليج — « « — ٩٨

اجتماع هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند — « « — ٩٩

سيادة الأستاذ محمد سعيد العامودي في ذمة الله — « « — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــــــة :

موسم الحج لعام ١٤١١هـ و مخلفات حرب الخليج

يأتي موسم حج هذا العام ١٤١١هـ و المسلمون مرهقون فكرياً و نفسياً و جسدياً ؟ يعيشون حياة لا طموح فيها ولا ثقة ، تحيط بهم ظروف قاسية تهددهم بالانذياب حيناً في تيار الأحـــداث و الأوضاع المفروضة عليهم ، و الانسياق حينا آخر مع المصالح السياسية و الاجتماعية دون أن يكون لهم رصيد من الذاتية و الاستقلال النفسي و الفكري في مجالات الحياة المهمة ، ذلك بالاضافـــة إلى ما يكتنفهم من الغموض فيما تصير إليه الحياة الاجتماعية و تتجه إليه المجريات من الأمور ، لقد أنهكتهم المآسي التي تواتها الأيدي الأثيمة لقوى الظلم و البغي و الطغيان ، و قضت على الأمن و الهدوء النفسي ، و عكرت جو الحب والثقة و الأخوة ، ذلكم الواقع المشرق الذي عاشته الأمة الاسلاميـــة في العالم العربي الاسلامي على امتداد تاريخها الطويل ، منذ أن أضفى عليهم الاسلام لباس الحب و الاخوة الايمانية و لون الطهر و العفاف ، فقال تعالى : « و اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم اعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

و لقد فوجئ المسلمون بعد الغزو العراقي على الكويت و توتر الأوضاع و الأعصاب الذي تسببه احتلال النظام العراقي بمدينة الكويت و الحشود العدوانية التي تجمعت على حدود المملكة السعودية ، بدهشة و حيرة طالتا مع الأيام ، و أحدثتا

ردود فعل عنيفة فى النفوس ، و الأوساط السياسة و الاجتماعية كلها ، و قد ساد الخوف و الذعر على المجتمعات الاسلامية فى الدول الاسلامية ، و فى البلدان التى يعيش فيها المسلمون ، مما أنتج نقص النسبة للمسافرين إلى الربوع المقدسة لأداء العمرة و الزيارة ، و قد نالت الاشاعات و الأراجيف انتشاراً بين الناس حول امتداد الغزو العراقى إلى الحرمين الشريفين و وصول الجيش الأمريكى و الدول المتحالفة لصد ذلك العدوان عن حدود الحرمين ، اللذين يستهدفهما المحتلون فى الكويت و المرابطون على ثغور المملكة العزيزه ، من الجيش العراقى .

خاف المسلمون مما إذا نشبت الحرب بين العراق و المملكة السعودية فستودى إلى نتائج وخيمة أكثر مما يتخيله الناس و يقدرونه ، و سوف لا يكون السفر إلى الحرمين الشريفين سهلا ، لفقدان الأمن و السلامة ، ولا شك فان الحرب التى دارت رحاها فى الكويت أدت إلى دمار شامل ، و رغم توقف الحرب و مضى مدة طويلة على ذلك لا يزال الوضع مهيباً ، ولا يتشجع أبناء الوطن المشردين على العودة إليه ما لم يستقر الوضع تماماً و ما لم تنل أيدى الاصلاح و التغيير و وضع كل شئ فى محله قوة و تأييداً فى إنجاز عملية البناء .

ومع ذلك فليس من السهل جداً أن يتناسى الناس ما قد سوغه لنفسه جيش النظام العراقى طوال سبعة شهور متتالية من نهب و تشريد و انتهاك للحرمات و تدمير عام شمل المتاجر و المنشآت و الأسواق و البنوك و منازل الناس ، ولا يزال الحريق مستمراً و يتصاعد الدخان المتكاثف الذى يلوث الجو و المرافق و الحاجيات ، و يضيق الخناق على السكان ، سواء العائدون منهم إلى بيوتهم أو الباقون منهم منذ عهد الاحتلال و المعاناة و العدوان ، وكل هذه الآثار و المخلفات الاحتلالية ، و التدميرية ، يطلع عليها الناس شرقا و غرباً و يشاهدونها عبر أجهزة الاعلام على بعد المسافات .

ليس من السهل أن يتناسى المسلمون أحداث الخليج وما أعقبته من نتائج سيئة و عواقب وخيمة ، وليس من المعقول كذلك أن يصرفوا أنظارهم عن الأخطار و المطامع التى لا تزال تترقب الفرص فى ثروات المسلمين ، و تتحين الثغرات التى يتسنى لها أن تتسرب منها إلى مخادع الحياة الاسلامية و يقلبها رأساً على عقب .

و بصرف النظر عن المصير المشئوم الذى لقيه طاغية العراق من عار و هزيمة ، و الدمار الذى أنزله على بلاده ، لم يفارق المسلمين الحذر مما إذا تحول ذلك الوضع الخطير إلى أى بلد عربى أو تناولت الجزيرة العربية — لا قدر الله ذلك أبداً — و فرضت عليها ظروفا غير طبيعة لا تتفق و قدسية الأرض بل و تتنافى الهدف السامى الذى ربط الله سبحانه به مصير الأمة الاسلامية ، ألا وهو بناء الانسان المؤمن المخلص الذى يكون خليفة فى الأرض و يعمرها بالطاعة و العبادة و الصلاح و البناء و الحب و الطموح ، و الأمن و السلامة ، و السمو و النزاهة و الخلق العظيم ، « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » .

لذلك فان تهدئة الأعصاب و تنقية الأذهان ، من مثل هذه الأوهام و المحاذير واجب أساسى يتوقف أداؤه على دراسة شاملة للاوضاع التى حدثت بعد الحرب و التى توثر على الحياة الاجتماعية و السياسية فى هذه الدول ، ولا شك فان دولة الكويت و المملكة العربية السعودية و دول الخليج كلها لفى غاية من الاهتمامات الكبيرة بذات المشكلة التى تحدق بالحياة العامة وهى تدرس الأوضاع كلها بجدية و أناة و ذكاء لازالة آثار العدوان العميقة و الجروح البالغة التى أصابت جسم الأمة الاسلامية العربية ولم يجد سبيلا إلى الاندمال إلى حد الآن .

و على أن الوضع المحذور و الخوف العام إنما خفت حدتهما بعد الحرب ، و انقشعت سحب الحرب المدمرة واطمأن الناس إلى نهاية أخطارها إلا أن هناك شعوراً بالخوف يعيش فى مداخل النفوس نظراً إلى ما يجرى عليه الأمور فى داخل العراق نفسه و ما يمارسه الطاغية من تدمير الأرواح و الممتلكات فى بلده مع شعبه المؤمن ، و ذلك يعنى من غير شك أن الوضع العدوانى الذى بدأ فى ٢/ أغسطس لا يزال مستمراً بأشكال وصور مختلفة مع اختلاف الزمان والمكان ، و من يتنبأ أنه سينتهى لآخر مرة و من غير رجعة إلى الوراء .

إن السكان الكويتيين لواقفون بالانتظار متجهين شطر بلادهم ، لكى يؤذن لهم بالعودة إليها بأمن و سلام ، إلا أن السلطات الحاكمة فيها لا تسمح لهم بالعودة ما لم تأخذ الاصلاحات اللازمة طريقها نحو التمام و ما لم يتمكنوا من إعادة البناء ، و تصفية المجتمع من العناصر الغير المرضية ، و لعل ذلك يستغرق مدة لا بأس بها ، و ربما يتم البناء من جديد و يتلاءم الجو مع الحياة الهامة يتسنى لأهلها الرجوع إليها فى ثقة و هدوء و سرور ، و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

لقد حان موسم الحج و لم تعد الأمور إلى نصابها ، و لم تتم عملية إعادة البناء إلى الآن ، ولم تطمئن النفوس ، ولم يفارق الشعور بالخوف قلوب الناس ، وذلك بجانب المخاوف التى تساور النفوس من قبل العناصر المتطرفة التى تتسرب إلى الحرمين الشريفين فى زى الحجاج رغم التفتيش الشديد الذى تقوم به الحكومة و الأخذ بالحيطة البالغة فى مراقبة كل ما يعكر صفو الأمن و السلامة ، إنها عناصر تمارس عملية الارهاب و نشر الفوضى و إحداث القلاقل فى صفوف الوافدين إلى بيت الله العتيق من ضيوف الرحمن ، وما ذلك إلا لمجرد أن يوجهوا

الطعن والتهم إلى المسئولين عن المملكة العربية ويستدلوا بها على أنهم لا يقدرون على أداء مسئوليتهم تجاه الحجيج و لا يتأهلون للقيام بولاية الحرمين الشريفين ، و لكنها (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذباً) .

بهذا الشعور أو مثله من المشاعر يتوجه الحاج المسلم اليوم إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج ، و لكنه بمجرد حضوره إلى بلد الله الأمين و طوافه ببيت الله العتيق وسعيه بين الصفا والمروة سيجد فى نفسه راحة وطمأنينة وينصرف عن جميع الأحاسيس و الخواطر التى كانت تشغل نفسه و تملأ فكره ، و سيخلو من جميع الهموم و المتاعب التى كانت تزعجه و تعكر عليه صفو العبادة و لذة العيش فى رحاب البيت ، ومع قرب أيام التشريق والذهاب إلى منى وعرفات والمزدلفة مشاعر الله فى الأرض ، يتناسى هموم الدنيا و أحزان الحياة و متاعب الأحداث والمآسى التى مرت عليه كأمواج البحر الطامة و ظلمات الليالى المدلهمة ، وتعود إليه الطمأنينة بجميع مظاهرها و معانيها ، و تغطى كيانه من كل جهة ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، و ما الحج كله إلا ذكراً و عبادة و حباً و هياما و تضحية و جهاداً لا يبتغى به الحاج إلا وجه الله » (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق و لا جدال فى الحج) .

يتزود الحجيج بزاد التقوى و يودع أهله و إخوانه و أقاربه بشعور رقيق من الخشية و التواضع و عواطف الشكر لله تعالى ، كما يودع الملابسات الدنيوية والعلائق النفسية و الوشائج المادية و يتطهر من الذنوب و الآلام و من الهموم والأحزان ، ويتحول إلى خلق جديد بعيد عن الأهواء ومزالق النفس والشيطان و يتمثل فى صورة عبد خاشع لله لا يلوذ إلا بالله و لا يعبد إلا إياه و لا يقبل إلا على الله و لا يلتجئ إلا إليه ، فيناجيه فى أمور تهمه فى دينه و دنياه ،

وتساعده على بناء ما تهدم من القيم و الأخلاق و المعنويات ، و إصلاح الفساد الذى عم بين الأفراد و المجتمعات ، و استبدال الظلم و الخوف بالعدل و الأمن و الثقة .

يتوجه المسلمون اليوم إلى الربوع المقدسة لأداء فريضة الحج و قلوبهم جريحة بالمأساة الخليجية و رؤسهم منكسة على الأحداث المبكية المؤلمة والجنايات الظالمة التى ارتكبها المفسدون المجرمون فى منطقة الخليج العربى الآمنة المطمئنة ، إنهم يصلون إلى بيت الله الحرام و بلد الرسول عليه الصلاة و السلام و عيونهم دامعة على خسائر من الأموال و الأرواح و الوسائل و الدمار الشامل الذى لا نظير له فى تاريخ المسلمين قريباً و لا بعيداً ، و هم فى دعائهم و أذكارهم و صلواتهم و ابتهالاتهم و تساقطهم على عتبة البيت و الملتزم المبارك سيبثون آمالهم و أشواقهم و مطالبهم إلى ربهم راجين منه أن يأخذ بأيدى المسلمين و يولف قلوبهم و يوحد صفوفهم و يزيل عنهم آثار العدوان و النكبات التى نكبوا بها و العواقب التى أخذوا بها ، إنهم فى هذه الأيام المباركة ولحظاتها الوادعة و ساعاتها الحانية يلتجئون إلى ربهم و يسالونه أن يقلب صفحات التاريخ السوداء و يبدل خوفهم أمناً و دمارهم بناءاً و فسادهم صلاحاً ، و أن يوفقهم إلى الايمان و العمل الصالح حتى يتحقق فيهم وعد الله ، و كان وعد الله مفعولا .

« وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . و صدق الله العظيم ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

من معانى القرآن الكريم :

الايمان بالملائكة

بقلم : معالى الدكتور الشيخ راشد عبد الله الفرحان
الكويت

٢٩— قال الله تعالى فى سورة البقرة الآية : ٢٨٥ « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله » .

الايمان بالملائكة واجب ، و لا يكمل إيمان المرء إلا به .

٣٠— قال الله تعالى فى سورة البقرة الآية : ١٧٧ « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين » و الايمان بالملائكة هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور (١) و أنهم كما وصفهم الله تعالى فى كتابه ، عباد مكرمون (لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » التحريم الآية ٦ « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » و أنهم خلقوا قبل آدم ، و هناك ملائكة عينهم الله بالاسم ، فمنهم جبريل وميكائيل و إسرافيل ورضوان ومالك ، و هناك ملائكة ورد تعيين نوعهم المخصوص كحملة العرش ، و الحفظة ، و الكتبة ، و ملك الموت .

أما عدد الملائكة فلا يحصيه إلا الله تعالى ، و من صفاتهم أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وأكثر من ذلك ، و ثبت أن لجبريل عليه السلام ستمائة جناح ، و لا نصفهم إلا بما ثبت من صفاتهم و لذلك فلا يصح القول بأنهم يتزوجون أو يأكلون أو يشربون أو ينامون .

(١) و ذلك للحديث الصحيح الذى رواه مسلم و أحمد .

٣١— قال الله تعالى فى سورة البقرة الآية : ٣٠ « و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون » .

والملائكة مخلوقات تؤمن بما تفعل و فى حدود ما علمها الله ، قال تعالى فى سورة البقرة الآية : ٣١-٣٢ « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، « قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

« تفسير الآية »

٣٢— أى أن الله سبحانه لما أخبر الملائكة بأنه سوف يخلق فى الأرض خليفة ، و تعجبوا بأنه سيصير فى الأرض فساد و كفر و عصيان ، لعلمهم السابق بمن كان قبل آدم من الجن أو أى خلق آخر ، أراد الله فى هذه الآية أن يبين لهم أن آدم أفضل منهم بعلمه ، فعلمه أسماء الأشياء و مسميات الحياة كلها ، و منها أسماء الملائكة فكان عجزهم أظهر و تقديسهم لله أعظم بالاعتراف أمام آدم ، فكرم الله آدم و أمر الملائكة أن تسجد له ، فقال فى سورة البقرة الآية ٣٤ « و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى و استكبر و كان من الكافرين » .

و لما أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم كان إبليس من جملة الحاضرين الداخلين بالأمر ، لقوله تعالى : « ما منعك أن تسجد إذ أمرتك » و لكن لم يكن من الملائكة بل كان من الجن ، فالاستثناء فى الآية منقطع ليس من جنس المستثنى منه ، أبى و استكبر لأنه وجد أن آدم خلق من الطين وهو

مخلوق من النار ، و هذا جهل منه ، فالطين فيه الماء و هو أفضل من النار ، فكان مصيره أن كان من الكافرين المبعدين من رحمة الله إلى يوم الدين .

وظائف الملائكة

٣٣— وظائف الملائكة : للملائكة أعمال و وظائف مختلفة و متنوعة يقومون بها حق القيام ، أعمال تتعلق بعالم الأرواح ، وأعمال تتعلق بعالم الطبيعة .

— التسبيح و التقديس : قال جل من قائل على لسان الملائكة « و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك » سورة البقرة الآية ٣٠ .

— حمل العرش : « الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم » سورة غافر الآية ٧ .

— التسليم على أهل الجنة : « و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم » سورة الرعد الآية ٢٣ ، ٢٤ .

— تعذيب أهل النار : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » سورة التحريم الآية ٦ .

— تبليغ الأنبياء رسالة الله جل و علا : « الحمد لله فاطر السماوات و الأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى و ثلاث و رباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شئ قدير » سورة فاطر الآية ١ .

— تعزيز و تثبيت لرسل الله : « و آتينا عيسى بن مريم البينات و أيدناه بروح القدس » سورة البقرة الآية ٨٧ .

— تبليغ الاطمئنان و التبشير بالجنة للمؤمنين « إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » سورة فصلت الآية ٣٠ .

— طمأنة قلوب المقاتلين المؤمنين . إنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » « و ما جعله الله إلا بشرى و لتطمئن قلوبكم » سورة الأنفال الآية ٩ ، ١٠ .

— قبض أرواح « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » سورة السجدة الآية ١١ .

— إحصاء أعمال الانسان « و إن عليكم لحافظين » « كراما كاتبين » « يعلمون ما تفعلون » سورة الانفطار الآية ١٠—١٢ .

إلى جانب هذه الوظائف و المهام لهم مهام أخرى ، مثل دعائهم للمؤمنين و تأمينهم مع المصلين ، و حضورهم مجالس الذكر ، و صلاتهم على المؤمنين ، و حضورهم صلاة الفجر و العصر من كل يوم ، و نزولهم عند قراءة القرآن ، و حضورهم مجالس الذكر ، و تبريك أهل العلم و تواضعهم لهم ، و إعلانهم عمن يحبه الله و عمن يبغضه .

٣٤— بعد هذا الاستعراض السريع يجب على المؤمن بالله أن يؤمن بالملائكة إيماناً لا تتطرق إليه الشكوك و الشبهات و لا تتسرب إليه الظنون ، ويحاول تزكية النفس وتطهير القلب ، لأن فى ذلك سمو الروح ، وتحقيقاً للحكمة العليا التى خلق الانسان من أجلها ، وبالتالى دخول النفس فى عداد النفوس المطمئنة « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى » سورة الفجر الآية ٢٧—٣٠ .

أكبر خطر على العالم العربى

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

حكمة الله فى اختيار العرب لحمل الرسالة :

اختار الله العرب للدعوة الاسلامية و القيادة الأولى لها ، من بين الأمم الأخرى فى العالم ، و قد قال عن بنى إسرائيل أولا ، « و لقد اخترناهم على علم على العالمين » (١) .

و قال عن النبى العربى ﷺ : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٢) .

و قد امتاز العرب بخصائص تفردوا بها بين الأمم ، و تجلت حكمة الله فى اختيارهم للدعوة الأولى إلى الاسلام (٣) و أثبت العرب الأولون حكمة هذا الاختيار بفهمهم العميق لطبيعة الاسلام ، و إساغتهم الكاملة لتعاليمه ، و تجردهم النادر عن كل ما ينافيها ، و حماستهم — المنقطعة النظير — فى نشر الاسلام ، و تفانيهم الغريب فى إعلاء كلمته ، و رفع شأنه ، و أمانتهم الدقيقة فى حفظ روحه ونفسيته ، ونجاحهم المدهش فى تسخير القلوب والعقول لقبول عقيدته وثقافته .

عقد الله بين العرب و الاسلام للأبد ، و ربط مصير أحدهما بالآخر ، فلا عز للعرب إلا بالاسلام ، و لا يظهر الاسلام فى مظهره الصحيح إلا إذا

(١) سورة الدخان الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٢٤ ،

(٣) راجع « السيرة النبوية » للمؤلف « لماذا بعث النبى ﷺ فى جزيرة العرب ؟ » ص ٤٢—٥٥ ، الطبعة الثامنة طبع دار الشروق جدة .

قاد العرب ركبه وحملوا مشعله ، وقد حرص رسول الله ﷺ على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدس بين العرب و الاسلام ، فجعل جزيرة العرب مركز الاسلام الدائم و عاصمته الخالدة ، و حرص على سلامة هذا المركز ، و هدوئه و شدة تمسكه بالاسلام ، لأن العاصمة يجب أن تكون بعيدة عن كل تشويش ، وعن كل فوضى ، و عن كل صراع ، فشرع لذلك أحكاماً بعيدة النتائج واسعة المدى ، و أوصى لذلك وصايا حكيمة دقيقة ، و أخذ لذلك من أصحابه وأمته عهوداً و مواثيق ، و ذكرت ذلك عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » (١) .

المسيحيون المثقفون قادة حركة القومية العربية :

تزعم حركة القومية العربية و قادها بعض المثقفين المسيحيين ، الذين لم تكن تربطهم بالأتراك (٢) رابطة العقيدة و الدين المبين ، و رابطة الاخاء الاسلامى ، و كانوا مثقفين بالثقافة الغربية التى تقوم على تمجيد القومية ، و كان من زعمائها الأولين الدكتور فارس نمر ، والشيخ إبراهيم اليازجى ، والأستاذ نجيب العاذورى اللبنانى .

يقول غلى حسن الخربوطلى :

« كان أول من بشر برسالة القومية بين العرب هم أبناء الرعايا المسيحيين الذين وجدوا فى القومية أداة صالحة ليس للتخلص من السيادة العثمانية بل الخروج

(١) رواه أحمد فى « المسند » و الطبرانى فى « الأوسط » و جاء فى المؤطأ للامام مالك « ألا لا يبقين دينان بأرض العرب » .

(٢) الذين كانوا يحكمون الجزيرة العربية ، والشام ، وفلسطين ، ولبنان والأردن و العراق ، الأقطار العربية التى كانت — و لا تزال — توجد فيها جالية كبيرة من المسيحيين .

كذلك من حدود الدائرة الاسلامية إلى وسط أرحب حيث يستطيع المسلمون وغير المسلمين من العرب أن يذيبوا أنفسهم فى ولاء شامل (١) .

و يقول الدكتور يوسف خليل :

ومما يميز الحركة القومية العربية ، الدور البارز الذى قام به المسيحيون فى تدعيمها و تقويتها و اختفاء النزعة الدينية تماماً من المفهوم العربى (٢) .

شيوع التصور الغربى للقومية :

و جاء دور المفهوم العربى للقومية العربية التى هى فكرة مستقلة وفلسفة بذاتها ولها كل ما للدين من حمية و حرارة و شعائر و مقدسات .

يقول الكاتب اللبنانى المسلم على ناصر الدين فى كتابه « قضية العرب » .

القضية العربية لن تكون أبداً عند العربى المؤمن الحر العاقل ، الشريف ، الصالح ، الخير الأبى المترفع ، إلا قضية إيمان ، إيمان بالوطن للوطن ، كقضية الايمان بالله ليس غير » (٣) .

و يتكلم عن مهمة قضية العرب و أهدافها فيقول :

« و تحارب (القومية العربية) الجهل والفقر والمرض والظلم و كل عصبية إلا العصبية القومية ، وتفصل الدين عن السياسة ، وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها وتعلم العربى إنما كان أن يتعصب بعنف لأمرين : قوميته والحق والصدق » .

و يشرح هذا الكاتب « العروبة » فى بيان واضح ولفظ صريح فيقول :

« العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من

(١-٢) التربية العربية من الفجر إلى الظهر ، حسن الخربوطلى .

(٣) مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب « قضية العرب » للأستاذ على ناصر الدين - بيروت ١٩٦٣م ص ١٩ .

مسلمين و مسيحيين ، لأنها وجدت قبل الاسلام و قبل المسيحية فى هذه الحياة الدنيا و إنها مع دعوتها - العروبة - تحمل أسمى ما فى الأديان السماوية من أخلاق و معاملات ، و فضائل و حسنات (١) .

وهكذا قال عمر الفاخورى قديماً فى كتاب له سماه ، « كيف ينهض العرب ؟ » .

« لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربى ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبى الكريم ، و المسيحيون والكاثوليك على إنجيل المسيح الرحيم ، و البروتستانت على تعاليم لوثر الاصلاحية ، و ثوريو فرنسا فى عهد الرعب على مبادىء روسو الديموقراطية ، و يتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك » (١) .

القومية العربية موامرة دقيقة للمسيحيين فى الشرق الأوسط :

و قد أصبح العرب المسلمون فى ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة فى الشرق العربى التى يتوقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية ، و حلولها محل الدين الاسلامى ، و التى تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مركز الزعامة و القيادة و التوجيه فى العالم العربى . و تستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الاسلامى الذى لا ترتبط به هذه الأقلية عقيدة و عاطفة و تاريخاً و لا يزال ميشيل عفلق (٢) (المسيحى ولادة) مؤسس حزب البعث العربى و رئيسه ، و فيلسوفها الأكبر فى الشرق العربى .

(١) مجلة العربى أيضاً : ص ٢٥ .

(١) نقلا عن كتاب « الأمة العربية فى معركة تحقيق الذات » للأستاذ محمد المبارك ، هامش ص ٤٠٧ .

(٢) ميشيل عفلق كان مؤسساً لحزب البعث و رئيسه ، و هو مسيحى سورى ★

وضع المفكرون من غير المسلمين فلسفة القومية العربيـــة بمكر و دهاء ، و استخدموا فى إعدادها لباقتهم الفائقة ، فنحوها منهجاً علمياً ، و جمعوا فى هذه الفلسفة ما يحمل تأثيراً خلابا على ذهن الشباب العربى المثقف (الذى تجيش فى قلبه عواطف استعلاء) و تتضح هذه اللباقة بهـــذه العبارة المقتبسة من كتاب « فى سبيل البعث » لميشيل عفلق (١) الذى يعتبر ميثاق هذه الحركة :

« إن تأجيل ظفر الاسلام طوال تلك السنين ، كان يقصـــد أن يصل العرب إلى الحقيقة بجهدهم الخاص ، و كنتيجة اختبارهم لأنفسهم و للعالم ، و بعد مشاق و آلام ، ويأس وأمل ، وفشل و ظفر ، أى أن يخرج الايمان و ينبعث من أعماق نفوسهم ، فيكون الايمان الحقيقى الممتزج مع التجربة ، المتصل بصميم الحياة ، فالاسلام إذاً كان حركة عربية ، و كان معناه تجديد العروبة و تكاملها .

و يقول : « إذاً فالمعنى الذى يفصح عنه الاسلام فى هذه الحقبة التاريخية الخطيرة ، و فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التطور ، هو أن توجه كل الجهود إلى تقوية العرب و إنهاضهم ، وأن تحصر هذه الجهود فى نطاق القومية العربية » .

صلة صدام حسين بحركة القومية :

كان الرئيس صدام حسين ذا صلة وثيقة بحزب البعث العربى المذكور الذى يعرف بدعوته إلى القومية العربية ، من مقتبل عمره ، ويرأس هذا الحزب نصرانى

★ انتقـــل فى آخر عمره إلى العراق ، و عاش مكرما مبجلا ومات فى عام ١٩٩٠ ، وأشيع فى الناس (لمصلحة يعرفها حكام العراق) أنه أسلم ، وقال عالم من علماء العرب « إنه أسلم بعد موته » .

(١) و يتضح من مطالعة هذا الكتاب أن المفكرين للقومية العربية و زعماءها فى مصر ، كانوا من تلاميذ هذه المدرسة و أتباعها .

سورى ، و هو الأستاذ ميشيل عفلق الذى سبق ذكره ، و قضى المذكور آخر عمره فى العراق ، و توفى فى العام الماضى ، و تم تأسيس هذا الحزب فى عام ١٩٤٣م و وصل ذروته فى عام ١٩٤٧م ،

و تدور فلسفة هذا الحزب الأساسى حول اعتبار العرب وحدة بذاتهم ، و إن الفروق التى توجد بينهم على أساس الدين و العقيدة ، والثقافة و السياسة ، صناعية و عابرة ، تزول و تتلاشى بصحوة العرب القومية ، و غلبة هذا الشعور فيهم ، و شعـار هذه الحركة و الحزب و دستورها « العرب أمة واحدة ذات رسالة خالدة » .

و ترمى هذه الحركة إلى إعادة العرب إلى عهد ما قبل الاسلام أى الجاهلية العربية ، العهد الذى لم يكن لهم فيه دين جديد (١) ، ولم يبعث فيهم محمد رسول الله ﷺ برسالته ، و شريعته ، و تمجد هذه الحركة أبطال الجاهلية و الشخصيات المعروفة فى الجاهلية ، التى يشتمل على ذكر بطولاتها وأيامها الشعر الجاهلى ، وفاخر بها الشعراء الجاهليون ، و تدعو هذه الحركة إلى التفاخر بها ، و إحياء ذكرها ، و الاستغناء عن الاسلام بمبادىء جديدة و فلسفة جديدة للحياة ، تسير مـــع القومية العربية المطلقة ، و المصالح السياسية و المادية ، ولم يرد اسم الاسلام فى دستورها مطلقاً .

و يعتقد المحققون و المبصرون أن هذه الحركة خطة مدبرة للحركة المسيحية

(١) يقول العلامة محمد طاهر الفتنى (م٩٨٦هـ) فى كتابه المشهور « مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل و لطائف الأخبار » : « الجاهلية هى الحالة التى عليهـا العرب قبل الاسلام من الجهل بالله و الشرائع ، و المفاخرة بالأنساب و الكبر و التجبر ونحوها (الجزء الأول ص ٤٢٥) .

الصليبية ، و إنها مؤامرة عميقة الجذور لقطع صلة العرب عن الاسلام ، و يمكن أن تلاحظ آثار هذه الحركة فى الشام - البلد الاسلامى الذى كان يتميز بالتاريخ الاسلامى المجيد - فى عهد حكم حافظ الأسد الحالى الذى يرتبط بحزب البعث العربى الاشتراكى ، حيث دمرت المساجد و اضطر الغيارى على الدين و أهل العلم ، إلى مغادرة البلاد ، وفرض الحظر على الحركات الاسلامية ، و الاحزاب الاسلامية ، و بدت آثارها فى الكويت بعد الغزو العراقى ، و يخشى أن تحدث هذه التطورات فى كل بلد يخضع لحكم هذا الحزب .

يقول ميشيل عفلق فى كتابه المعروف « نضال البعث » .

« الأمة العربية وحدة ثقافية ، و جميع الفوارق بين أبنائها زائفة ، تزول جميعها بيقظة الوجدان العربى » (١) .

« الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة ، فى مراحل التاريخ ، و ترمى إلى تجديد القيم الانسانية وحفز التقدم البشرى و تنمية الانسجام و التعاون بين الأمم (٢) .

« فنحن إذن أمة ، ولكن لاتبدو هذه الأمة ، و كأنها خلقت بالاسلام ، مما يقوى منطق الرجعية الدينية المتخلفة و بما يعنى أننا يجب أن نكون حزباً دينياً ، و نحن لسنا كذلك ، و لكن طريق تغيير الحياة و بنائنا الجديد هو طريق حزب البعث العربى الاشتراكى ، و هو الصبغة الجديدة للتعبير عن روح الأمة و رسالتها الانسانية (٣) .

(١) نضال البعث ج ١/ ١٧٢ .

(٢) أيضاً ج ١ ، ١٧١ .

(٣) فى سبيل البعث ص ٣٤٤ .

لماذا تعارض القومية العربيـــــة :
و ما هى بواعث هذه المعارضة ؟ :

إن المخاوف و الشبهات التى ليست بدون أساس ، و التى تبررها المقتطفات السابقة و النماذج المذكورة ، هى التى تحمل على معارضة حركة القومية العربية ، إن الذين يراقبون التطورات و النتائج المترتبة منها و آثارها البعيدة ، و الذين يعتبرون العرب رصيد الدعوة الاسلامية ، و رأس مالها ، و البلاد العربية معينها و ملجأها الأخير ، و يعرفون حقيقة المفهوم الغربى للقومية ، و الذى يتعارض مع الدين ، بل هو بديل له ، أو ند له ، و تمهيد للادينية و الالحاد ، يقلقهم النظر إلى هذه الظروف السيئة ، و يضطربون و يتململون ، و لا يهدأ لهم بال ، و لا يقر لهم قرار .

إن الحركة القومية لأى بلد عربى أدهى و أمر من كل حركة أخرى للقومية ، لأن من شأن هذه الحركة أن تحملهم على احترام الجاهلية القديمة ، و تمجيد الآباء و الأمجاد فى الجاهلية أو على الأقل تقلل من كراهيتها من قلوبهم ، و تمنع من الاستهانة بها .

و العهد الجاهلى هو الذى ذكره القرآن الكريم كالمهد المثالى للكفر ، وأثار فى النفوس كراهيته و أبرز مساويه بطرق متعددة .

ومن أسلوب القرآن الكريم أنه إذا أراد أن يبرز كراهية أى عمل وقبحه أو شناعة أى اتجاه فكرى و خلقى ، و يصور وخامته ، ينسبه إلى الجاهلية الأولى ، فيقول :

— يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية (١) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ .

— أفحكم الجاهلية يبغون ؟ (١) .

— و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى (٢) .

— إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية (٣) .

و يخشى كذلك من هذه الدعوة أن تتضاءل كراهية صناديد الكفر الذين شاقوا الرسول ﷺ ، ونصبوا العداء له و لدعوته ، و يعتبرون أبطالا و عماليق العصر الذى سبق الاسلام ، وهو الأمر الذى يخشى أن يؤدى إلى زوال الايمان ونوع من الردة لا غير ، و قد تحقق من دراسة السنة و الحديث النبوى ، أن من لوازم الايمان و سمات الاسلام كراهية الكفر و الامتعاض منه و اقشعرار الجلد من تصور العودة إليه و التورط فيه كما جاء فى الحديث الآتى :

عن النبى ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، من كان الله و رسوله أحب إليه مما سواهما ، و من أحب عبداً لا يحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار (٤) .

و قد شوهد فى السنوات الأخيرة فى القوميين العرب اتجاه إلى ذلك ، فقال بعضهم : إن المؤرخين المسلمين قدموا صورة قاتمة للعهد الجاهلى أكثر مما كانت ، وبدأ بعض الكتاب يدافعون عن العهد الجاهلى ، و يحسنون صورته ، و تجرى فى وزارة التعليم و التربية و الدوائر العلمية فى بعض الدول العربية حركة استخدام تعبير « عهد ما قبل الاسلام » ، أو العرب القدماء بدلا

(١) سورة المائدة / الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

(٣) سورة الفتح ، الآية : ٦ .

(٤) جامع صحيح البخارى — كتاب الايمان — باب حلاوة الايمان .

من العصر الجاهلى أو الجاهلية ، وإذا سارت حركة القومية العربية مسارها الطبيعى ، و تقدمت ولم يظهر أى رد فعل لها أو لم يوضع حد لها ، فلا يبعد ذلك اليوم الذى يبدأ الكتاب فيه الدفاع عن أبى جهل و أبى لهب ، و يبررون مواقفهما ، و ينظرون إليهما كأبطال العرب و عظمائهم ، بالنظر إلى بعض شمائلهما العربية .

و كان من تأثير حركات القومية المباشر و أثر القادة و الأدباء و المؤلفين المسيحيين القوميين ، تضاءل الكراهية من الكفر و أهل الكفر ، و زوال الاشمئزاز منه فى النفوس ، وحلت محلها كراهية تلك الدول الاسلامية غير العربية ، و الشعوب التى تعارض هذه القومية ، أو تقع فى كتلة أخرى ، و قد تجلى هذا الانحياز فى أبشع مظهر ، بموقف جمال عبد الناصر خلال قضية قبرص فأيد اليونانيين المسيحيين وساندهم عسكرياً مقابل الأتراك المسلمين ، كما أيد الدول الأفريقية التى قامت بسفك دماء المسلمين فى بلادها بوحشية وبربرية وإبادتهم .

إن هذه الأسباب اللامعة والدلائل القاطعة التى لم تعد مخاوف أو أخطاراً ، و إنما هى حقائق و وقائع ، تدعو أهل العلم و الفكر إلى أن يحترزوا عن تأييد القومية العربية أو يحترسوا فيه ، أو أن لا يقولوا كلمة خير فى صالح أى قائد أو زعيم من قادتها ، بل يجب عليهم إذا لزم الأمر أن يفندوها و ينبهوا إليها ، ليؤدوا أدنى الواجب الدينى الذى يعود عليهم .

« هداية الحيارى »

بقلم : د . محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الاسلامية (الرياض)

الصراع بين الحق و الباطل مستمران على وجه الأرض ، كلازمة من لوازم هذه الحياة الدنيا ، و أهل الباطل يتشددون فى باطلهم ، و يدافعون عنه ، معاندة للحق ، و حسداً لأصحابه الذين أنار الله قلوبهم له ، و استبان لهم الرشد بمعرفة مداخل الخير ، و الطرق المؤدية إليه .

فالاسلام الذى جعله الله ديناً حقاً ، و أرسل به جل وعلا جميع الرسل ، و آخرهم محمد ﷺ ، يتصادم مع أهل الباطل ، و دعاة مساويه المتعددة ، فى كل زمان و مكان . . .

و منذ استقرت دعائمه فى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ إليها ، و صراعه الفكرى و العقدى مع أهل الكتاب على أشده ، و قد بان من مواقف عديدة معاندتهم و مكابرتهم ، و أوضح القرآن الكريم أنهم قد بدلوا فيما بين أيديهم من كتب حسب أهوائهم ، و ادعوها من عند الله ، و اشتروا فيما بين أيديهم بالثمن القليل ، فبئس ما يشترون .

و قد حفل الصراع الفكرى ، و الحوار العقلانى بين علماء المسلمين و بينهم بذخائر كثيرة ، استبان بها الحق ، و بانت عيوب و مداخل باطلهم . . و اهتدى بذلك أناس من قساوستهم و أحبارهم فدخلوا الاسلام بعد ما استبان لهم الرشد ، و آخر أحبارهم عشرات من القساوسة بأفريقيا يدخلون الاسلام .

لكن المستشرقين و المبشرين فى فترة نوم المسلمين ، و بعدهم عن التعمق فى دينهم صالوا و جالوا و أثاروا الشبهات ، و وضعوا المخططات و دفعوا

الأموال لكى يعيدوا المسلمين إلى الجهل ، و يباعدوهم عن الفهم ، هذا من جانب ، و من جانب آخر لكى يظهروا الاسلام بصورة مشوهة تنفر الآخرين منه .

و لجهل أكابر و سادة النصارى ، فانهم قد انساقوا خلف دعايات و أضاليل اليهود ، إذ قادة المستشرقين من اليهود ، مما جعل كثيراً من مفكرى النصارى فى القرون المتأخرة ينتبهون لذلك ، و يبدوأن فى أعمال جدية للتخلص من التبعية اليهودية فى العقائد و الاتجاهات ، و كان أول مؤتمر عقدوه فى إحدى المدن الرومية فى القرن الخامس الميلادى ، لكنهم أصبحوا كالمستجير من الرمضاء بالنار . فأفسدوا ما كان صالحاً ، و عدلوا و بدلوا فى دياناتهم ، حتى أصبح ذلك تقليداً لكل عابث ، يتصرفون فيما بين أيديهم من كتب و تشريع ، كما يتصرف أصحاب المصانع فى موديلات السيارات سنوياً إرضاء لرغبات الزبائن . .

و قبل ثلاث سنوات هاجمت صحفية أمريكية رجال الكنيسة ، و وصفتهم بالغباء ، لأنها قرأت الأناجيل ، ولم تجد فيها ذكراً للمرأة ، بينما هم يطالبون بحقوق المرأة ، و مساواتها بالرجل ، و دفعها للحياة العملية . . و لكن الاسلام الذى يهاجمونه ، و يصفونه بنعوت عديدة ، منها تقييده المرأة ، و عدم إفساح المجال لها للانطلاق ، قد أنصف المرأة أكثر من تلك الأناجيل ، و جعلها مع الرجل على قدم المساواة فى الحقوق و الواجبات ، و فى المخاطبة حتى إن سورة كاملة من أطول سور القرآن سميت بالنساء ، كما جاء ذكر أسماء كثيرات من النساء فيه ، إما بالصفه كالمسلمات و المؤمنات و الذاكرات و غيرها ، فهى تأتى مع الرجل سواء بسواء . .

ولم يسع رجال الكنيسة مع هذا الهجوم إلا أن يجتمع شملهم ، و ينقض جمعهم عن توصية باصدار طبعة جديدة لأحد الأناجيل تذكر فيها المرأة ، إرضاء لنزعة هذه الصحيفة . . و هذا ليس بغريب ، فان بين يدى رسالة بعثها أحد الأخوة من كندا يعطى فيها فكرة عن ندوة عقدت فى النصف الثانى من أكتوبر

سنة ١٩٨٩م فى مدينة تورنتو عن الأناجيل ، اجتمع فيها مائة و عشرون خبيراً فى الكتاب المقدس ، و مؤسس هذه الندوة هو البروفسور روبرت فانك خبير الكتاب المقدس لمدة أكثر من أربعين عاماً ، و قد خطط لهذه الندوة ضمن برنامج مدته خمس سنوات ، بدأ فى عام ١٩٨٥م .. و يعقد كل ستة شهور و قد ناقش المجتمعون فى ندوتهم الأخيرة موضوعين هامين هما :

— مصداقيه النصوص المنسوبة إلى عيسى — عليه السلام — فى الأناجيل ، هل هى من كلامه فعلا ، أم أنها مجرد تزوير و انتحال .

— و شخصية المسيح نفسه و أى نوع منها كان هو .. و مناقشة الأقوال المتضاربة عندهم عنه — عليه السلام — حتى إن بعضها لا يقبله عقل الحيوان فضلا عن الانسان المميز .

و قد خرجت ندوتهم هذه بعد دراسة ل ٧٥٨ قولا هى النصوص المنسوبة لعيسى عليه السلام بأن منها ١٤٨ نصاً صحيح ، أى نسبه ٢٠٪ فقط ، و الباقى وهو ٦١٠ نصوص ، أى بنسبه ٨٠٪ فهى مكذوبة عليه أو شبه كاذبة .

و بعد سته شهور سوف تعقد الندوة آخر مرحلة فى برنامجها لخمس سنوات .. و سوف تخرج بآراء جديدة تناقض ما يسير عليه النصارى فى معتقدهم ، و تبين مكانة الاسلام فى تعاليمه التى لم تعبث بها أيدى البشر لحماية الله لها كما قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » [سورة الحجر الآية ٩] و قد بان الغضب فى وجه رسول الله ﷺ عند ما رأى فى يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة من توراة أهل الكتاب .. وقال عليه الصلاة و السلام : أفى شك يا ابن الخطاب ، و الله لقد جئت بها بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعى » .

إن الفجوة العلمية الحاصلة بين الاكتشافات العلمية الحديثه ، و اتساع الأفق فى الحوار العقلى ، و بين الصورة المنطبعة فى أذهان النصارى عن عيسى

عليه السلام ، قد جعل البلبلة تسود الأذهان حيث ابتعد رجال العلم عن التدين ، بل دفعهم للحقد عليهم حيث نسب لكثير من العلماء فى فنون المعرفة تسميتهم رجال الكنيسة بأصحاب الرؤوس النخرة . و قامت محاكم التفتيش بمطاردة العلماء ، و تضييق الخناق على كل من تفتح ذهنه على المعارف العديدة ، و المخترعات التى ارتفع بها مستوى الحياة ، و رحم الله عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل فى قوله : «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تقبله عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » . . ذلك أن ما جاء فى تلك الأناجيل ، أو على الأصح أغلبه ، كما ورد فى الأثر : حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج .. فما جاء عنهم لا يصدق ولا يكذب لأنه ربما كان من الصحيح الذى لم يدخله التبديل ، فنأثم بتكذيبه ، أو من الأشياء التى دخلها التزوير و التبديل ، فنضل باتباعه و الميل إليه .

و فضح ما جاء فى أناجيلهم ، على أيدى خبراء منهم ، مما يفتح آفاقاً كثيرة لمكانة دين الاسلام و تعاليمه ، لانجذاب العلماء إليها ، و ما رآه المختصون فى أنواع المعرفة من حاجة ملحة للتدين و الارتباط بالله جل و علا ، لأن المعرفة فتحت لهم آفاقاً ، و أنارت أمامهم طريق اليقين .

و إنها لدعوة نوجهها لعلماء المسلمين فى الطب والهندسة ، و الفلك والفضاء و غيرها من أنواع المعارف التى يخشى أصحابها خالقهم لأنها تفتح أمامهم سبيل الارتباط الوجدانى ، لكى يختلطوا بأقرانهم من غير المسلمين ، و بأمثال خبراء الكتاب المقدس ، لتبصير عقولهم بما يحرص عليه الاسلام من تعريف بمكانة العلم و العمل به ، و الدعوة إليه ، و هذا جزء من أمانة التبليغ فى الاسلام .

لأن من يتابع أمثال هذه الندوات التى يسير وراءها أناس حادت أفكارهم و حرمت عقولهم من البحث عن المعرفة ، و تلمس مصادرها .. يدرك شيئاً مما دفعهم للعلمانية ، و نماذج من الخواء الفكرى ، و بلبلة الأذهان ، و الظلام الدامس الذى يعيشون فيه .

إن من الأمانة الملقاة على كاهل كل مسلم مهما كان موقعه ، أن يؤدى مما أعطاه الله ، و أن يشارك فى إنقاذ العقول الحائرة ، حتى تجد اليقين الذى يخرجها من حيرتها . . و إن استمرار مثل هذه الندوات ، لهى فاتحة خير من إزالة الغشاوة ، و تبيين ما يصحح المسار العقلى لما هو سائد فى حياة بعض الأمم . . و من الخير للمدركين من المسلمين علمياً وفكرياً، أن يشاركوا بجهودهم ، و حوارهم ، من أن يدعوهم يتخبطون فى دياجير العمى و الضلال ، ذلك أن دلالة الآية الكريمة فى سورة المائدة عن النصارى ، بأنهم قريبو الاستجابة للهدى إذا تبين لهم وضوحه ، لرقه قلوبهم و عدم استكبارهم عن القناعة بالحق . متى استبان لهم : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » (٨٢) .

و إلا فكيف الجواب عما أدى كل مسلم نحو دينه ، و تبليغه للآخرين ، كما جاء فى سورة الزخرف : « و إنه لذكر لك و لقومك و سوف تسألون » (٤٤) و بالتبليغ تبرأ الذمة و تقوم الحجة .

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم :

ذكر عبد الله الترجمان الذى كان قساً من القرن الثامن الهجرى ، فأسلم فى وقت يكرس الصليبيون جهودهم فى نشر النصرانية ، و ملاحقة المسلمين ، و تحويلهم عن دينهم للنصرانية بالقوة ، ذكر فى كتابه : تحفة الأديب فى الرد على أهل الصليب، قصة إسلامه حيث عقد لذلك فصلا جاء فيه : إنه التقى براهب كبير السن ، عالى المرتبة يدعى : « ما رتيل نقلاد » و تقرب إليه بالحذر و الامتثال، فأدرك هذا القس الكبير نباهته و حرصه الشديد على الحصول على العلم ، فشجعه و أكرمه، و أطمأن إليه فى أموره ، و قد لازمه عشر سنين يتعلم منه النصرانية ، أصولها و فروعها ، و فى يوم من الأيام بعد ما كبر هذا القس و عجز عن ملازمة مجلسه ، أثير فى مجلس الدرس كلام حول شخصية « فارقليط »

الذى بشر بنبوته عيسى عليه السلام ، و جرى نقاش طويل فى هذا الصدد ، و كل أدلى بما لديه فى ضوء مبلغه من العلم و الفهم . . و لما رجع عبد الله الترجمان إلى منزل شيخه سأله عما جرى بينهم من كلام فى غيبته ، فأخبره بما جرى من نقاش حول شخصية « فارقليط » و الخلاف فى يقين المراد بهذا النبى ، فسأله الشيخ عن جوابه هو ؟ ، فقال : بما قاله القاضى فلان فى تفسيره فقال : قولك هو الصحيح و قول فلان و فلان ضعيف ، ثم قال : إن تفسير هذا الاسم المبارك لا يعرفه إلا الراسخون فى العلم ، فجعل يترجى أن يخبره ، فقال : لكننى أخشى لو ظهر هذا السر منك لقام عليك النصارى و قتلوك . . فقال له : يا سيدى لن أتكلم فى هذا الأمر مالم تأذن لى فى ذلك . . فقال له : لعلك تذكر عند ما جئتنى ، كنت سألتك عن بلدك و عن بلاد المسلمين : أهم قريب منك ، و هل يقاتلونكم أم تقاتلونهم ؟ ، و قد كنت سألتك عن ذلك لكى أعرف منك مدى كراهيتك للمسلمين و حقدك عليهم ، و اعلم بانى أن « فارقليط » اسم من أسماء نبى المسلمين ، و قد أنزل عليه الكتاب الرابع ، و هو الذى ورد ذكره على لسان دانيال النبى و قال فيه : إن دينه يكون دين حق ، و ملته ملة بيضاء ، و قد بشر به عيسى عليه السلام أيضاً فى الانجيل .

فقال لشيخه : فما رأيك فى دين النصارى ؟ قال : يا بنى لو كان النصارى على دينهم لكانوا على دين الله ، لأن دين عيسى و دين جميع الأنبياء هو دين الله ، قال : فما طريق النجاة إذن ؟ فقال الشيخ : أن تدخل فى دين الله الاسلام ، قال المؤلف : فقلت : إن العاقل لا يختار لنفسه إلا ما يراه خيراً له ، فان كنت تعلم أن الاسلام خير و أفضل فما يمنعك من قبوله ؟

فلما سمع الشيخ هذا الكلام قال : يا بنى إن الذى ذكرته لك من فضل الاسلام ، و مقام نبى المسلمين وفقنى الله لمعرفته بعد ما كبرت سنى ، و ضعف

جسمى ، و قلت حيلتى ، هذا و لم يبق لى العذر الآن ، و إن حجة الله قائمة على ، و لكن لو هدانى الله ، و أنا فى سنك لتركت كل شئ ، و دخلت فى دين الحق ، و لا يخفى أن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، و أنت ترى منزلتى عند النصارى ، و فى هذا الوقت لو عرفوا منى أننى أميل إلى الاسلام لقتلونى فى حينه ، و لو نجوت منهم و لحقت بالمسلمين و قلت لهم جئتكم مسلماً لردوا على ، و لا تمنن علينا إسلامك ، لأنك كسبت لنفسك خيراً ، و بذلك سأصبح بينهم شيخاً فقيراً فى سن التسعين لا أفهم لسانهم ، و لا يعرفون حقى ، فأموت بينهم جوعاً ، و أحمد الله أننى على دين عيسى عليه السلام ، و متمسك بما جاء به و الله أعلم بذلك منى ، قال المؤلف : ثم قلت له : و هل تشير على بأن أذهب إلى بلاد المسلمين ؟ و أدخل فى دينهم ؟ فأجاب : إن كنت عاقلا و طالباً للنجاة فبادر إلى ذلك ، ستنال به الدنيا و الآخرة ، و أخذ منى موثقاً على آن لا أكشف له سر هذا الأمر . . ثم بدأت استعد للسفر ، و لما عزمت على المغادرة جئت لوداعه فأعطانى خمسين ديناراً لنفقات السفر و دعا لى بخير ، ثم ذهب إلى تونس ، فرحب به النصارى و أكرموه و أنزلوه فى منازلهم ، و قضى معهم أربعة أشهر قبل أن يعلن إسلامه ، ثم سأل عن رجل فى مقر السلطان يعرف النصارى فدلوه على رجل كان طبيبا خاصاً للسلطان أبى العباس أحمد ، فاتصل به ، و أخبره عما يريد ، ففرح بذلك لما علم أنه جاء مسلماً و أدخله على السلطان الذى رحب به و قال له : أسلم على بركة الله ، و أراد السلطان أن يبهت بذلك علماء النصارى ، فدعاهم لمجلسه و سألهم عن هذا القسيس الذى جاءكم قريباً من بلاد الأندلس فأثنوا عليه كثيراً ، فقال : ما رأيكم لو دخل فى الاسلام ؟ قالوا : إنه لن يفعل ، فأخرجه إليهم و أعلن أمامهم إسلامه فبهتوا وأسروا الندامة ، و قالوا أقاويل تقدح فيه حسداً .

أساليب الدعوة فى الآيات الكونية

الدكتور الحافظ احسان الحق
الأستاذ المساعد ، بقسم اللغة العربية جامعة كراتشى

لا ريب أن القرآن الكريم معجزة خالدة للنبى ﷺ شاهد على أنه بعث بالحق و ما جاء فى التنزيل من علوم و حقائق لا يحتاج إلى شهادة العلوم العصرية ، لأن العلوم العصرية تتغير وتتبدل من عصر إلى عصر حسب تقلبات البحوث فى مجال العلم التجريبى و المعرفة ، و القرآن تنزيل من حكيم حميد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، فالمسلم الحقيق لا يقيس القرآن بمقياس العلوم بل ينظر فيها من خلال منظار قرآنى لأن القرآن يهدى إلى المبادئ الأساسية المحكمة التى تقى الانسان عن استنتاج خاطئ و عن ضلال فكرى فى العلم ، كما قال — مؤلف « فى ظلال القرآن » فى تفسيره .

« و نحن فى دراسة القرآن لا نلجأ إلى تلك التقديرات على أنها حقائق نهائية — فهى فى أصلها ليست كذلك ، و إن هى إلا نظريات قابلة للتعديل ، فنحن لا نحمل القرآن عليها إنما نجد أنها قد تكون صحيحة إذا رأينا بينها و بين النص القرآنى تقارباً و وجدنا أنها تصلح تفسيراً للنص القرآنى بغير تحمل ، فنأخذ من هذا أن هذه النظرية أو تلك أقرب إلى مدلول النص القرآنى » .

و يقول فى موضع آخر :

« و نحن أصحاب هذه العقيدة لا نحاول أن نحمل النص القرآنى المستيقن

على نظرية غير مستيقنة تقبل اليوم و ترفض غداً ، لذلك لا نحاول فى هذه الظلال أن نوفق بين النصوص القرآنية و النظريات التى تسمى علمية — إن القرآن ليس كتاب نظريات علمية و لم يجئ ليكون علماً تجريبيا كذلك ، إنما هو منهج الحياة كلها ، منهج لتقويم العقل ليعمل و ينطلق فى حدوده و لتقويم المجتمع ليسمح للعقل بالعمل و الانطلاق دون أن يدخل جزئيات و تفصيلات علمية بحتة ، فهذا متروك للعقل بعد تقويمه و إطلاق سراحه » .

فاول ما يقتضى القرآن من عالم يريد خوض غمار العلم أن يبدأ سفره باسم ربه كما أمره : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » أى اقرأ كل ما وسعك من صحيفة الكائنات المفتوحة أمامك لكن يجب ابتداء سفرك باسم الرب حتى لا تقع فى حفرة الضلال ، هكذا يبدأ العالم المسلم سفره العلمى فى ضوء الايمان واليقين ولا يتخبط خبط عشواء فى متاهات الضلال ولا ينخدع من المصطلحات المضللة كالموضوعية و غيرها ، لأن أول خطوط خطاها إنما خطاها على علم وبصيرة فهو ينظر ملكوت السماوات و الأرض نظرة الموقن المؤمن لا نظرة الحائر التائه فى ظلمات الشك و الارتياب ، فهو كلما ازداد انتصاراً على العلم التجريبى ومهارة فيه ازداد إيمانه بالله و إيقانه بالآخرة كما وصفه سبحانه و تعالى :

« و يتفكرون فى خلق السماوات و الأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

ثانيا : يقتضى القرآن من المؤمن أن يهدف لسيره العلمى هدفاً منشوداً ، و ذلك بتوجيه محاولاته العلمية توجيهاً صحيحاً كى يصل إلى الحقيقة الكبرى لهذا الكون فضلا عن أن يتيه فى صحراء الأفكار البشرية القاحلة بدون الوصول إلى النتيجة النهائية ، فالقرآن لا يقدم الحقائق العلمية بصورة فلسفية بل هو يدعو إلى

التدبر و التفكر فى الكون ليشهد أولو العلم على هاتين الحقيقتين : أن لا إله إلا الله و أن هذه الحياة لم تخلق عشوائية و أنها ليست هى النهاية بل هناك حياة أخروية دائمة وهى خير و أبقى ، فالعالم المؤمن لا يكتفى على إشباع رغبته العلمية فى مجال العلم بل هو يتطلع إلى آفاق واسعة ليحق الحق و يبطل الباطل كما قال سبحانه و تعالى .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (١) .

فموضوع القرآن و هدفه المنشود هو الانسان و القرآن يبحث عن سعادة الانسان و نجاحه فى هذه الحياة و ما بعدها فهو لا يتخذ أسلوباً فلسفياً لتقديم الحقائق الكونية بل يلفت أنظارنا إلى الكون بأسلوبه الخاص الذى يتميز عن جميع الأساليب البشرية ، ألا وهو أسلوب الدعوة ، هذه الدعوة تتركز على النقاط التالية .

أولا : إن الله سبحانه و تعالى خلق هذا الكون و خلق فيها الكواكب لا تعد و لا تحصى ثم اختار الكوكب الأرضى لخلق الانسان فخلقه و أحسن خلقه و ألهمه فجوره و تقواه و اعطاه الحرية فى الارادة و الاختيار ومنحه سلطة التصرف فى أموره و استخلفه فى الأرض .

ثانياً : إنه سبحانه و تعالى لم يكتف على خلق الانسان وتوفير النعم المادية له فحسب بل أسبغ عليه نعمة الهداية فى جميع نظم الحياة كالسياسة و الاجتماع و الاقتصاد كى يتمتع بالسعادة الروحية مع الأمن و الاستقرار فى الحياة المادية ، فأرسل جماعة من الأنبياء على مدى الدهور حتى استكمل هدايته للبشر على يد محمد ﷺ المرسل إلى كافة البشرية فبلغ النبى ﷺ الرسالة الأخيرة و طبقها تطبيقاً كاملا فى جميع نواحى الحياة .

(١) سورة حم سجده ، الآية : ٥٣ .

ثالثا : إن الانسان لم يخلق فى الدنيا ليعيش عيش الغافل اللاه بل الحياة فترة امتحان له منح فيها نوعا من الحرية و الاستقلال ليختار الحق و يطرد الباطل و يضع نصب عينيه الفوز فى الآخرة لأن مرده الحقيقى الآخرة ، فاذا انحرف الانسان عن هذا المنهج القويم فلا يذوق فى الدنيا وبال الفساد و القلق و الدمار فحسب بل سيكون مصيره نار جهنم يلاقى فيها عذاب الخلد و الألم الدائم ، هذه هى الدعوة القرآنية التى تدور حول عقيدة التوحيد و الرسالة و الآخرة فتقرها فى ذهن الانسان المسلم بتحويل ذهنه إلى آيات الكون .

« إن فى خلق السماوات والأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الالباب ، و لكن من هم أولو الالباب ؟ هم الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً وعلى جنوبهم و يتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، فلماذا يتفكرون ؟ ليقود تفكيرهم إلى أن الحياة لم تخلق بلا غاية وبلا هدف فينادون : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، أى يستنتجون من تفكيرهم أيضاً أن هذا الكون ناقص من ناحية جزاء أعمال الانسان ، فلا يجازى العبد الصالح جزاء عمله الصالح وافيا و لا العبد الطالح عقاب عمله السيئ عقاباً كاملا ، فاثبات عقيدة الآخرة نتيجة حتمية لتفكير المؤمن فيدعو ربه قائلا - سبحانك فقنا عذاب النار .

فاذا نظرنا فى هذه المقدمات إلى الآيات الكونية لوجدنا أنها تقدم الدعوة فى أسلوب جذاب ، فقال سبحانه و تعالى .

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءاً و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا و أنتم تعلمون » (١) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١ - ٢٢ .

بين سبحانه وتعالى فى الآيتين مستدلا من دلائل قدرته أنه أوجد الانسان بقدرته من العدم وجعل الأرض قراراً و مهاداً له وجعل السماء سقفاً مرفوعاً فوق الأرض و أنزل منها ماءاً عذبا فراتا و أخرج بذلك الماء أنواع الثمار و الفواكه والخضار ليصل الانسان إلى معرفة ربه و يخلص له عبادته ولا يتخذ معه شركاء لأنه هو الخالق الرازق وحده .

و استدل سبحانه و تعالى على عقيدة الآخرة و إعادة الانسان إلى الحياة بعد موته بالآية الكونية قائلا — « كيف تكفرون بالله و كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ، هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات و هو بكل شىء عليم » (١) .

أى إن الذى صير السماوات السبع محكمة البناء و هو عالم بكل ما خلق وذرأ كيف لايستطيع أن يحيي الانسان بعد موته؟ بلى إنه هو قادر على ذلك، و كقوله سبحانه و تعالى : « إن فى خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار و الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيهـــا من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون » .

ذكر سبحانه فى الآية المذكورة أدلة قدرته و وحدانيته و أتى بالبراهين على وجوده فبدأ بذكر العالم العلوى ثم بالعالم السفلى ثم بتعاقب الليل والنهار ، ثم بالسفن التى تمخر عباب البحار ، ثم بالأمطار التى فيها حياة الزروع والنفوس ، ثم بما بث فى الأرض من أنواع الحيوانات العجيبة ، ثم بالرياح و السحب التى سخرها الله لفائدة الانسان و ختم ذلك بالأمر بالتفكر فى بدائع صنع الله ليستدل العاقل

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨ - ٢٩ .

بالأثر على وجود المؤثر و بالصنعة على عظمة الخالق المدبر الحكيم فيجب حباً شديداً ولا يتخذ معه نداً ، فأعقبها الآية .

« و من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حباً لله » أما المؤمنون المخلصون فهم يقرأون الكون كصحيفة الله فلا يشركون به شيئاً ، و ذكر سبحانه و تعالى فى سورة الأنعام احتجاجاً على المشركين بعجائب صنعه و لطائف تدبيره ليعرض الأدلة على توحيده و وجوده و سلطانه أنه يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها و يفلق النوى لخروج الشجر منها و يخرج النبات الغض الطرى من الحب اليابس و يخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى و يشق الضياء عن الظلام وعمود الصبح عن ظلمة الليل و سواده ، و يجعل الليل راحة للانسان والشمس والقمر حسبانا ، فقال سبحانه :

« إن الله فالق الحب و النوى يخرج الحى من الميت و مخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ، فالق الأصباح وجعل الليل سكنا و الشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم ، و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر و مستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً و من النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من أعناب و الزيتون و الرمان مشتبها و غير متشابه ، أنظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ، وجعلو لله شركاء الجن و خلقهم و خرقوا له بنين و بنات بغير علم سبحانه و تعالى عما يصفون » (١) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩٥ — ١٠٠ .

أى أن فى خلق هذه الثمار و الزروع مع اختلاف الأجناس و الأشكال و الألوان لدلائل باهرة على قدرته و وحدانيته و لكن مع ذلك هؤلاء المشركون يجعلون الجن شركاء له و ينسبون إليه البنين و البنات و قد علموا أنه تعالى هو الذى خلقهم و انفرد بايجادهم .

و ابتدأت السورة الكريمة سورة الرعد بالآيات الكونية تقرر كمال قدرته تعالى وعجيب خلقه فى السماوات و الأرض و الشمس و القمر و الليل و النهار و الزروع و الثمار مع الدلالة على البعث و الجزاء و الاحياء و الامانة و النفع والضرر ، و هى المقاصد الأساسية للدعوة الاسلامية يؤكد القرآن عليها من حين إلى حين ، لننتبه إلى قوله تعالى .

« المر ، تلك آيات الكتاب و الذى أنزل إليك من ربك الحق و لكن أكثر الناس لا يؤمنون ، الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس و القمر ، كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ، و هو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى و أنهاراً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الأرض قطع متجاورات و جنات من اعناب وزرع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، و إن تعجب فعجب قولهم أ إذا كنا تراباً أ إنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم و أولئك الأغلال فى اعناقهم ، و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١) .

هذه آيات القرآن المعجز ، الذى فاق كل كتاب ، تدعو إلى التدبر

(١) سورة الرعد ، الآية : ١ — ٥ .

و التفكر ، كيف السماء قائمة مرتفعة البناء ؟ و كيف ذللت الشمس و القمر ؟ و كيف نصبت الجبال الرواسخ لتثبيت الأرض ؟ و كيف جرت فيها الأنهار و الثمار المتنوعة التى تسقى بماء واحد ، فالآية ، تدل على أن الكثرة و التنويع فى الخلق يرجع إلى خالق واحد و هو الله .

و فى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

فتقرر الآيات عقيدة التوحيد والبعث والجزاء معا فى ذهن الانسان المؤمن ، يقول الأستاذ السيد قطب (رحمه الله) فى شرح الآيات .

« و الذى خلق هذا الكون الضخم و دبره على هذا النحو قادر على إعادة الأناسى فى بعث جديد ، إنما هو الكفر بربهم الذى خلقهم و دبر أمرهم ، وإنما هى أغلال العقل و القلب فالجزاء هو الأغلال فى الأعناق ، تنسيقاً بين غل العقل و غل العنق ، و الجزاء هو النار خالدين فيها (١) .

هكذا تتحدث سورة النحل عن موضوعات العقيدة الكبرى ، الالوهية و الوحى ، و البعث و النشور مستدلا من آيات الكون فى العالم الفسيح فى السماوات و الأرض ، والبحار والجبال ، و السهول و الوديان ، والماء الهاطل ، والنبات النامى ، و الفلك التى تجرى فى البحر ، والنجوم التى يهتدى بها السالكون فى ظلمات الليل ، و هى صور حية مشاهدة دالة على وحدانية الله و ناطقة بآثار قدرته ، فيقول سبحانه و تعالى :

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب و من كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم

(١) فى ظلال القرآن المجلد الخامس ، ص ٧٤ .

مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، و ما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه ، إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون ، و هو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً و تستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون ، و ألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم و أنهاراً و سبلا لعلكم تهتدون ، و علامات و بالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (١) .

أى ، كيف تسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة و النعم الجليلة وبين من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

وكذلك سورة الأنبياء تبلغ الدعوة بأسلوب بليغ من ضمن الآيات الكونية المتعلقة ببدء الخلق فيقول سبحانه و تعالى .

« و من يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ، أو لم ير الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون ، وجعلنا فى الأرض روسى أن تميد بهم وجعلنا فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون ، وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً و هم عن آياتها معرضون ، و هو الذى خلق الليل و النهار و الشمس و القمر كل فى فلك يسبحون ، وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفئن مت فهم الخالدون » (٢) .

تبتدىء الآيات بعقيدة التوحيد و تختتم بذكر الآخرة ، و تدل على هاتين العقيدتين نظام الكون العجيب ، الكون الذى كان شيئاً ملتصقاً فانفتق بأمر ربه ثم بدأت الحياة تنتعش بالماء و أصبح الماء أصل كل الأحياء ثم خلق سبحانه

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ .

و تعالى الجبال الثوابت كى لا تتحرك الأرض وجعل فيها مسالك وطرقاً واسعة كى يهتدى الانسان المقاصد فى الأسفار و خلق الليل و النهار و الشمس و القمر كل يجرى و يسير فى دوائره ، فالذى خلق مثل هـذا الكون هو الذى حدد كل شىء أجله و هو الذى أخبر الانسان أنه يرجـع إلى ربه و يموت يوما ثم يبعث يوم القيامة ليتلقى جزاء عمله ، و قد أشار صاحب التفسير « فى ظلال القرآن » فى شرح الآية إلى هذا المعنى :

« و قد يشير القرآن أحيانا إلى حقائق كونية تقررها هنـا أن السماوات و الأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ، و نحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها فى القرآن و إن كنا لا نعرف منه كيف كان فتق السماوات عن الأرض أو فتق الأرض عن السماوات ، و نتقبل النظريات الفلكية التى لا تخالف هذه الحقيقة المجملة التى قررها القرآن ، و لكننا لا نجرى بالنص القرآنى وراء آية نظرية فلكية ولا نطلب تصديقاً للقرآن فى نظريات البشر و هو حقيقة مستيقنة » .

ونقرأ فى سورة فصلت الآيات الكونية التى تلفت أنظارتا إلى هذه الحقيقة الضخمة التى جاء بها محمد ﷺ .

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين و تجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين ، وجل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها و قدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين — ٤٠ ، ثم استوى إلى السماء و هى دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهـا قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين و أوحى فى كل سماء أمرها ، و زينا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (١) .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٩ — ١٢ .

يخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين و يكشف لهم عن شناعة الجرم الذى يرتكبونه بالشرك و الكفر و يمضى بهم فى المجال الكونى العريض ليكشف لهم عن سلطانه الذى يكفرون به و يخرجهم من الزاوية الضيقة الصغيرة التى تتصل بالسماوات والأرض وتتصل بالبشرية كلها فى جميع أعصارها ، فعرض القرآن هذه الحقائق بالطريقة التى تبلغ اعماق القلوب وتهزها هزاً ، فكتب صاحب « فى ظلال القرآن » موضحاً علاقة الدعوة بالنواميس الكونية فى تفسير الآية : قالتا أتينا طائعين » .

« إنها ايماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس ، و إلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة و الاستسلام لكلمته ومشيئته فليس هنالك إذن إلا هذا الانسان الذى يخضع للناموس كرها فى أغلب الأحيان ، إنه خاضع حتما لهذا الناموس ، لا يملك أن يخرج عنه ، وهو ترس صغير جداً فى عجلة الكون الهائلة ، القوانين الكونية الكلية تسرى عليه ، رضى أم كره ، ولكنه هو وحده الذى لا ينقاد طائعاً طاعة الأرض و السماء ، إنما يحاول أن يتفلت ، وينحرف عن المجرى الهين اللين ، فيصطدم بالنواميس التى لا بد أن تغلبه ، و قد تحطمه و تسحقه فيستسلم خاضعاً غير طائع ، إلا عباد الله الذين تصطلح قلوبهم وكيانهم و حركاتهم و تصوراتهم و إراداتهـم و رغباتهم و اتجاهاتهم تصطلح كلها مع النواميس الكونية ، فتأتى طائعة وتسير هينة لينة مع عجلة الكون الهائلة ، متجهة إلى ربها مع الموكب ، متصلة بكل ما فيه من قوى ، وحينئذ تصنع الأعاجيب وتأتى بالخوارق ، لأنها مصطلحة مع الناموس ، مستمدة من قوته الهائلة و هى منه و هو مشتمل عليها فى الطريق إلى الله طائعين ، إننا نخضع كرها فليتنا نلبى تلبية الأرض السماء فى رضى وفى فرح باللقاء مع روح الوجود الخاضعة المطيعة المليبة المستسلمة لله رب العالمين .

إننا نأتى أحيانا بحركات مضحكة ، عجلة القدر تدور بطريقتها و بسرعتها و لوجهتها ، و تدير الكون كله معها وفق سنن ثابتة ونأتى نحن فنريد أن نسرع أو أن نبطئ ، نحن من بين هذا الموكب الضخم الهائل بما يطرؤ على نفوسنا — حين تنفك عن العجلة و تنحرف عن خط السير — من قلق و استعجال و أنانية وطمع و رغبة و رهبة ، ونظل نشرد هنا و هناك و الموكب ماض ، و نحتك بهذا الترس و ذاك و نتألم ، و نصطدم هنا و هنالك و نتحطم و العجلة ماضية فى سرعتها و بطريقتها إلى وجهتها ، و تذهب قوانا وجهودنا كلها سدى .

فأما حين تؤمن قلوبنا حقاً وتستسلم لله حقاً ، وتتصل بروح الوجود حقاً فاننا حينئذ — نعرف دورنا على حقيقته — وننسق بين خطايا وخطوات القدر ، و نتحرك فى اللحظة المناسبة بالسرعة المناسبة فى المدى المناسب ، نتحرك بقوة الوجود كله مستمدة من خالق الوجود ، و نصنع أعمالا عظيمة فعلا دون أن يدركنا الغرور ، لأننا نعرف مصدر القوة التى صنعنا بها هذه الأعمال العظيمة ، ونوقن أنها ليست قوتنا الذاتية ، إنما هى كانت هكذا لأنها متصلة بالقوة العظمى .

ويا للرضى ، ويا للسعادة ، ويا للراحة ، ويا للطمأنينة التى تغمر قلوبنا يومئذ فى رحلتنا القصيرة ، على هذا الموكب الطالع الملبى ، السائر معنا فى رحلته الكبرى إلى ربه نهاية المطاف .

ويا للسلام الذى يفيض فى أرواحنا و نحن نعيش فى كون صديق كله مستسلم لربه و نحن معه مستسلمون لا تشد خطانا عن خطاه ، و لا يعادينا ولا نعاديه لأننا منه و لأننا معه فى الاتجاه (١) .

هذه هى الدعوة الجذابة التى تجتذب إليها القلوب وتحن إليها الأرواح فيتحلى المؤمن بالايمان الحقيق و يتمتع بالسعادة الأبدية فى الدنيا و الآخرة .

(١) فى ظلال القرآن : السيد قطب ـ سورة فصلت ، الآية : ١٢٠-١٢١ المجلد السابع .

دراسات و أبحاث :

المنهاج الاسلامى

لحل المشكلة التربوية فى مصر

بقلم : الأستاذ على عبد الموجود القاضى
الموجه العام بوزارة التعليم سابقاً

[عنوان الموضوع لا يجعل البحث خاصاً بمصر ، بل الواقع أنه يعم العالم الاسلامى و جميع الدول التى يسكنها المسلمون — التحرير] .

فلسفة التربية فى الاسلام :

الاسلام له فلسفة خاصة فى مجال النظرة إلى الله تعالى و الكون و الحياة و الانسان و المجتمع — و له منهج فكرى كامل شامل للحياة كلها و ما فيها ، و الانسان وصلته بالكون الذى يعيش فيه و بالله تعالى الأعلى الذى خلقه و خلق الكون .

فالله سبحانه و تعالى خلق الكون و جعل الانسان خليفة له فى الأرض يؤدى رسالته فى هذه الحياة طبقاً للنظام الذى أراده الله تعالى — و لا يصح للانسان أن يدعى الأصالة فيضع لنفسه المنهج الذى يسير عليه أو يطلق العقل فيما لا مجال له فيه — و هذا المنهج حقق للانسان الاستقرار و الاطمئنان و لا يوجد مجالا للخلاف بين الناس بعضهم بعضاً أو عداوة بين الفلسفات التى تظهر فى غيبة النظام الالهى — و هذا النظام كفيل بأن يسعد هذا العالم الحائر لو أنه حاول أن يستفيد منه لكن الفلسفات الحديثة لا تريد أن تستفيد من الاسلام ـ بل إنها لتسعى جاهدة — يعاونها الاستعمار فى ذلك لاخراج الاسلام عن مقوماته

النفسية و الروحية و الاجتماعية — و محاولاتها مستمرة لغزو الفكر الاسلامى و إخراجه عن قيمه و مناهجه — بل و تدمير مقوماته و إدخال مفاهيم أخرى للقضاء على ذاتيته .

وظيفة المسلم :

وظيفة المسلم فى هذه الحياة وظيفة ضخمة و أثره كبير فى هذا الوجود — فهو جزء من هذا الكون و الكون ساحة لنشاطه و ميدان لحضارته يدين بالعبودية لله تعالى و يتحرر من عبادة ما سواه من استذلال النظم و القوانين و الأشخاص و الشهوات و الشيطان .

نعم إن المسلم سيد الكون كله و ليس عبداً إلا لله الواحد القهار — ثم إن الكون كله مصدر رائع للمعارف و العلوم و منبع لسكينة الانسان و هدوء مشاعره — وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات البشر بقدر ما يرفع من تصورهم للوجود الانسانى كله بقدر ما يكشف لهم أيضاً عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره .

و المسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله تعالى خلقه فى أحسن تقويم وسواه و نفخ فيه من روحه و جعل الملائكة تسجد له و جعله خليفة له فى الأرض .

و الاسلام بهذا يرسى القواعد الأساسية التى لا تتغير و لا توثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم و لا تعدد المذاهب و لا تنوع البيئات — فمن قام بها و أداها كاملة فقد أدى وظيفته وحقق غايته فى الوجود — و من قصر فيها او نكل عنها فقد أصبح بلاوظيفة فى هذه الحياة بعد أن نكل عن وظيفته الحقيقية و أصبحت حياته خاوية من معناها الأصيل الذى تستمد منه قيمتها الأولى — ثم إذا به يسير إلى الضياع الذى يصيب كل كائن يتخلى عن وظيفته و يتفلت من ناموس الوجود الذى يربطه به و يكفل له البقاء و الاسلام يريح المسلم من الأسئلة التى قد لا يستطيع أن يجيب عنها و لا يجد

فى آية فلسفة إجابة عليها مثل : « من أين جئت ؟ و لماذا جئت ؟ و إلى أين أذهب ؟ و هذه الاجابة تجعله يحس بأن وقته كله مشغول بتحقيق وظيفته فى هذه الحياة (١) .

و المسلم بعد هذا كله له شخصية مستقلة و هو مسئول عن نفسه و عن عمله : « من عمل صالحا فلنفسه و من أساء فعليها » (٢) .

انحلت العقدة الكبرى :

لم يزل الرسول ﷺ يربى أصحابه تربية دقيقة عميقة و لم يزل القرآن يسمو بنفوسهم و يذكى جمرة قلوبهم و لم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخا فى الدين و عزوفا عن الشهوات و تفانياً فى سبيل مرضاة الله و حنيناً إلى الجنة وحرصاً على العلم وفقها فى الدين ومحاسبة للنفس — يطيعون الرسول فى المنشط و المكره و ينفرون فى سبيل الله خفافا و ثقالا — قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعاً و عشرين مرة فى عشر سنين و خرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة . .

و انحلت العقدة الكبرى — عقدة الشرك و الكفر — فانحلت العقد كلها و جاهدهم الوسول جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر و نهى ، وانتصر الاسلام على الجاهلية فى المحركة الأولى فكان النصر حليفه فى كل معركة .

لقد كان هذا الانقلاب الذى أحدثه الرسول ﷺ فى نفوس المسلمين وبواسطتهم فى المجتمع الانسانى أغرب ما فى تاريخ البشر — كان غريباً فى سرعته و كان غريباً فى سعته و شموله و فى وضوحه و قربه إلى الفهم ، و قد أثر هذا

(١) كتاب أضواء على التربية فى الاسلام تأليف : على القاضى : دار الأنصار .

(٢) سورة فصلت الآية : ٤٦ .

الايمان الصحيح فى الأخلاق و الميول و فى وخز الضمير و فى الثبات أمام المطامع والشهوات و فى الأنفة و كبر النفس و فى الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء و فى الشجاعة النادرة و الاستهانة بالحياة و نقلهم من الأنانية إلى عبودية الخالق (١) .

الاسلام و الحضارة الحديثة :

لقد قام المسلمون بدور رائع فى نشر الحضارة الاسلامية بين ربوع العالم المعروف فى ذلك الوقت حيث نشروا العلم الصحيح و العدالة الكاملة و الحرية السليمة وأقبل الناس على الدخول فى الاسلام رغبة لا رهبة و استطاع المسلمون بذلك أن يخرجوا الناس من الظلمات إلى النور و مرت قرون طويلة يقومون برسالتهم ويعملون على نشر الدين والعلم و الثقافة — ثم اختلط المسلمون بالغرب عن طريق المعاملات و عن طريق الحروب و بدأ العالم الاسلامى فى الضعف الذى مكن للغرب فى البلاد الاسلاميـة عن طريق الاحتلال العسكرى و بدأ يضع خططه لاخراج المسلمين عن هويتهم و أصبح همه بالنسبة للمصريين « تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشئون تنشئة خاصة تقربهم من الأوربيين و من الانجليز على وجه الخصوص فى طرائق التفكير و السلوك — و من أجل ذلك أنشأ كلية فيكتوريا التى قصـد بها تنشئة جيل من أبناء المسلمين الحكام و الزعماء و الوجهاء فى محيط انجليزى ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربى فى إدارة شعوب المسلمين و ليكونوا — فى الوقت نفسه — على مضى الوقت أدواته فى التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوربى فى نشر الحضارة الغربية ،

(١) كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى : على بن على الدوحة .

وقد أعرب اللورد اللويد الذى كان ممثلا سامياً لبريطانيا فى مصر عن هذا الهدف حين قال فى كلمة ألقاها فى كلية فيكتوريا بالاسكندرية سنة ١٩٣٦م عن طلبة هذا المعهد و خريجيه :

« كل هؤلاء لا يمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهـة النظر البريطانية — بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين و التلاميذ فيصيروا قادرين على أن يفهموا أساليبنا و يعطفوا عليها . . و متى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف عنها فى الماضى يتنبه الآباء إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمى فيهم من الشعور الانكليزى ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب.

واتخذ الاستعمار وسيلة أخرى لايجاد هذا التفاهم المفقود وعمل على تنفيذها فهى أبطأ من الوسيلة الأولى و لكنها أبقى آثاراً و تتخلص فى تطوير الاسلام و تفسيره تفسيراً يجعله يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية أو قريباً منها أو غير متعارض معها على الأقل بدل أن يكون عدواً لها أو معارضاً لمنهجها .

التطوير :

و خطر التطوير على المجتمع الاسلامى و على الاسلام يأتى من وجهين — فهو إفساد للاسلام حيث إنه يشوه قيمه و مفاهيمه الأصيلة بادخال الزيف على الصحيح .

و يثبت الغريب الدخيل و يؤكده (١) .

نعم لقد ركز الاستعمار على التعليم و سيطر على كل جوانبه ليصل على ما يريد من صياغة المعلمين صياغة جديدة تجعله قادراً على أن يسير بالأمة الاسلامية إلى ما يريد و قد سيطر على كل جوانب التعليم و عند ما انحسر ظله لم يسلمها إلى أهلها مرة أخرى بل مضت تدار باشراف أوليائه و تحت لواء أتباعه و لقد

(١) « الاسلام و الحضارة الغربية » د . محمد حسين : مؤسسة الرسالة .

كان المستعمرون غاية فى الدهاء و المكر و البراعة عنـد ما بدأوا معركتهم من المدرسة و عن طريق برامج التعليم و من خلال الارساليات التيشيرية التى سبقت و وضعت مناهج التعليم والتزمت وزارات المعارف بأن تنقل مناهجها و نظمها — و قد استطاعت قوى الاستعمار أن تفرض هذه المناهج على المدارس الأميرية.

فقبل الاحتلال انتشرت مدارس الارساليات فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، فقد بلغت الارساليات فى فترة ما بين ١٨٤٤—١٩٤٣ «٢٣» إرسالية باسم الراهبات و ٣٥ مدرسة للفرير بالاضافة إلى كلية سانت كارين و كلية سان مارك و هذه كلها فرنسية .

أما الانجليزية فقد كان عددها ٢٤ مدرسة تابعة للبروتستانت و الكاثوليك إلى جانب كلية فيكتوريا بالمعادى و كلية فيكتوريا بالاسكندرية و كلية البنات الانجليزية بالاسكندرية .

أما المدارس الأمريكية فقد كان عددها «٨٨٧ مدرسة بها ١٠٩ ألف تلميذ إلى جانب مدرسة البنات الأمريكية و كلية البنات سنة «١٩٠٩» و الجامعة الأمريكية «١٩١٩م و كلية أسيوط سنة «١٨٦٥ و هكذا و بعد الاحتلال الانجليزى وفد إلى مصر ١٨ إرسالية من سنة ١٨٨٢ إلى ١٩١٣م و تم إنشاء ٣٠ مدرسة للفرير بعد الاحتلال و أبرز ما قامت به مدارس الارساليات :

١— إغفال اللغة العربية و إتقان اللغة الأجنبية .
٢— رعاية دين و أخلاق هذه البلاد .
٣— إيجاد طبقة مستغلية على أبناء المسلمين .
٤— تفكيك الأسرة المسلمة حيث تجد الأسرة الواحدة مقسمة بين تقاليد متعددة لكل فرد تفكيره الخاص و نظرته المختلفة إلى الأمور .

و قد أعلن زويمر رئيس المبشرين فى البلاد العربية فى الثلاثينات خطة الأوربيين فى التعليم التى تتخلص فى :

١— عزل كل قطر إسلامى عن الآخر و عزل كل جماعة عن الجماعات الأخرى فى كل قطر .
٢— جعل الاهتمام قائماً على المظهر و الزينة .
٣— الحرص على ثناءة التعليم الدينى و المدنى لايجاد طبقتين متميزتين كل منهما عن الأخرى متصارعتين
٤— جعل الشخصية الغربية هى المثل الأعلى .
٥— بناء مناهج الدين و التاريخ على الأساس الغربى .

و قال زويمر : « إن السياسة الاستعمارية قضت فى نصف قرن على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية على القرآن الكريم و على التاريخ الاسلامى و بذلك فقد أخرجت المدارس ناشئة لا هى مسلمة و لا مسيحية و لا يهودية — ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة و لا تعرف حقاً — فلا كرامة للدين و لا حرمة للوطن » (١) .

أزمة التعليم المعاصر :

يؤخذ على النظم التربوية المعاصرة على تباين أشكالها ما يأتى :

١— عدم وجود فلسفة تربوية صحيحة لها .
٢— جمودها و عجزها عن مسايرة التطورات الاجتماعية المتسارعة .
٣— اتباعها نظم قبول متباينة و غير سليمة .
٤— اقتصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات أو التدريب على عدد من المهارات .

(١) «مقدمات العلوم و المناهج» المجلد السادس : الأستاذ أنور الجندى ، دار الأنصار .

٥— اقتصار هدف الطلاب من التعليم على الحصول على الشهادة .
٦— اتباعها لنظم مناهج محددة و فشل هذه المناهج فى تربية الناشئة .
٧— اعتمادها لنظام الامتحان كأسلوب أساسى لعملية تقويم الطلاب و فشل ذلك الأسلوب .
٨— الفصل بين المواد الانسانية و العلمية .
٩— التميز بين التعليم العام و التعليم التقنى .
١٠— الخلاف على مهمة الجامعات وهل هى للتعليم أم للتدريب المهنى أم للبحث .
١١— انقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة و عن المجتمعات .
١٢— افتقارها إلى النظرة الانسانية الشاملة (١) .

الأسباب القيادية للأزمة :

فقدان القوة الحسنة فساد القمة ينعكس على النظم التعليمية ذاتها — فكما فقدت المجتمعات قدوتها الحسنة فى غيبة الحكام الشرعيين — فقد فقدتها معاهد العلم التى كثيراً ما يتحكم فيها ضباط الانقلابات العسكرية أو الاداريون البيروقراطيون أو السياسيون الطامحون أو رجال الأعمال المستغلون و هنا تنحصر المراكز التربوية عن دورها القيادى فتفسد المجتمعات .

و ساعد على ذلك تلك القيود الظاهرة و المستترة التى تفرض على المثقفين من قبل الحكومات المستبدة والتى أصبحت من سمات العصر البارزة — وكذلك الآثار السيئة الناتجة عن التكتلات السياسية و العقدية و المذهبية غير الرشيدة و تكتلات الأقليات الأنانية و التى كثيراً ما تؤدى إلى إقصاء الصفوة القيادية

(١) « أزمة التعليم المعاصر و حلولها الاسلامية » د . زغلول النجار : المعهد العالمى للفكر الاسلامى .

و إحلالها بالمتسلقين و الانتهازيين و الأصوليين و الذين يشكلون الخطر الدائم على العملية التربوية .

الأسباب النفسية للأزمة :

فقد أهملت عوامل الارتباط الشخصى و الأهداف الجماعية و التى لا يمكن تحليلها بنفس الدقة العلمية .

و تنطلق الأطر السلوكية المستفادة من بعض المجالات الفردية على الانسان بعامة، و هذا أحد الأسباب الجوهرية لتوهور الانسان فى زماننا — بالاضافة إلى أن التحليل النفسى الذى يفتقر إلى فهم صحيح لحقيقة الانسان ووضعه فى الكون و رسالته لا بد و أن يأتى تحليلا ناقصاً ، لأنه سيقتصر على قليل من الحضارة الجديدة التى لا تعكس إلا قدراً ضئيلا من طبيعة الانسان .

الأسباب الأخلاقية للأزمة :

القيم الاجتماعية التى يجب أن تحكم علاقة الانسان بأخيه الانسان و بالمجتمع الذى يحيا فيه — قد أخرجت عن إطارها الأخلاقى لتبقى ألفاظاً تنطقها الشفاه و تسخرها لخدمة الأنانية الانسانية و الطمع الشخصى .

فقدان التربية الدينية :

السمة الغالبة على التعليم المعاصر و هو أنه تعليم لا دينى (علمانى) لا يؤمن إلا بالمحسوس المدرك فهو ينكر أو يهمل كل ما هو غيبى — و من هنا أتت المعارف المتداولة فى معاهد العلم قاصرة منقوصة و أتت العملية التعليمية عاجزة عن القيام بدورها التربوى — فالمادة وحدها لا يمكن أن تحقق للانسان أى قدر من السعادة .

و بذلك أضحت النظم التعليمية وسيلة لنقل المعلومات و التدريب على قدر من المهارات — هذا هو السر فى أن الأنانية و المبالغة فى الاحساس بالذات

و التردد و الخوف من الارتباط بأية قيم أخلاقية أو دينية قد أصبح من سمات المعاهد التعليمية المعاصرة .

هذا هو سر أزمة التعليم التى نواجهها (١) .

و من أسباب مشكلة التعليم فى مصر أن أجهزة الاعلام تساعد مساعدة سلبية على حل المشكلات فى مصر — فهى تدخل كل بيت فى كل مكان و فى كل وقت أصبح تأثيرها قوياً حتى على الآباء والأمهات و المعلمين و المعلمات — و هى بالتالى موجهة لأداء هذا الدور حتى تؤدى الهدف الذى يريدونه — كما أن وزارة الثقافة تقوم بدورها فى هدم القيم الاسلامية بصورة أو بأخرى و هى بالتالى موجهة لأداء هذا الدور حتى تصل إلى الهدف الذى يريدون الوصول إليه.

و كان من نتيجة ذلك :

— أن الطالب غير قادر على تمييز الخير من الشر و النافع من الضار .

— و أن المعلمين يسيرون فى طريق لا يهدف إلا إلى المصلحة الخاصة أو السلبية المتناهية .

و بذلك :

— زادت الديون الخارجية والداخلية على مصر — بل إنها تتزايد باستمرار .

— وأصبح الكثيرون من الشباب — بل ومن المسئولين — تائهين حائرين أو عاملين لمصالحهم الخاصة و لا يخدمون الوطن إلا بالكلام و الأغانى لمصر .

— و بذلك أيضاً أصبح الناس يتهمدون شيئاً فشيئاً عن القيم الاسلامية و الأخلاق التى تبنى ولا تهدم ، و بذلك أصبح الجميع فى حيرة لا يعرفون ماذا يفعلون ؟ و لا إلى أين يسيرون ؟ و لا إلى أى شئ يهدفون .

(١) المرجع السابق .

ترى كيف تحل المشكلة التربوية فى مصر ؟

هناك أسس عامة ينبغى أن تعتنقها الدولة وتعمل على نشرها بعد أن تؤمن بها و أن يعمل جميع الأفراد فى المجتمع على تطبيقها بعد الايمان بها و هى :

أولا : « الانطلاق إلى التربية فى كل اتجاهاتها و بكل صورها فى منطلق إسلامى » بحيث تكون تربية الطفل مسئولية كل فرد و كل هيئة و أن نبدأ بالتوعية فى أن تكون عوامل التربية كلها متضافرة على تربية الطفل التربية الكاملة المتكاملة لكى يستطيع أن ينشأ نشأة صالحة تجعله قادراً على أن يؤدى وظيفته فى هذه الحياة .

عوامل التربية فى الاسلام :

و عوامل التربية فى الاسلام هى الأسرة و المسجد و المدرسة و المجتمع .

الأسرة : الأسرة هى البيئة الطبيعية لنشوء الطفل ، و الأسرة هى أفضل نظام لتربية الأطفال و تزويدهم بالعوامل النفسية و الثقافية اللازمة لنموهم و تقدمهم و حمايتهم .

و الاسلام قد أوصى باختيار الرجل الصالح عند الزواج فقال ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون خلقه و دينه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير » (١) .

كما أوصى باختيار المرأة الصالحة عند الزواج فقال ﷺ : « تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها — فاظفر بذات الدين تربت يداك » (٢).

وبذلك فان الاسلام قد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد و ذلك بتوفير البيئة الصالحة له ولتربيته و لاعطائه حاجاته الجسمية والنفسية و العقلية والخلقية.

المسجد : يمثل المسجد فى الاسلام عاملا هاماً من عوامل التربية فهو مكان للعبادات ومكان للتربية أيضا — و كان المربى الأول صلوات الله وسلامه

(١) الترمذى و ابن ماجة . (٢) البخارى .

عليه يلاحظ حال تلاميذه و يخالطهم و يتخذ خير الطرق لتربيتهم و تثبيت المعلومات فى عقولهم و السير بهم إلى الاتجاهات الاسلامية و جعلهم يسلكون السلوك الذى يتلاءم مع التربية الاسلامية و يسير مع المنهج الالهى .

و لم تقتصر رسالة المسجد على التعليم — بل تعدته إلى تقوية الروابط الاجتماعية وتوثيق الروابط الأخوية وإشعار أعضاء المجتمع الاسلامى بأنهم أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً و استمر المسجد يؤدى دوره التربوى فى جميع العصور الاسلامية — وحتى عصرنا الحاضر حيث انتشرت المدارس وأصبح دوره قاصراً على أداء الصلوات .

المدرسة : نشأت المدرسة فى الاسلام نشوءاً طبعياً تدريجياً فكانت قليلة العدد فى بداية الأمر — و ما زالت تنمو حتى أصبحت فى صدر الدولة العباسية كثيرة و منتشرة فى البلدان الاسلامية انتشاراً كبيراً — و المدرسة توجد توازناً فى حياة الطفل من الناحية الفردية و من الناحية الاجتماعية — فهى حلقة وسط بين البيئة المنزلية و بين المجتمع الحقيقى و هى تؤثر فى سلوكهم عن طريق التقليد و الاستهواء و الايحاء و ما إلى ذلك .

و قد أخذت المدرسة — بذلك — جزءاً كبيراً من وظيفة المسجد فى التربية — و هى لذلك تعتبر مكملة له — بما لها من إمكانات لا توجد فى المسجد — وبخاصة فى عصور العلم والتكنولوجيا أو هى امتداد للمسجد ورسالته — و ذلك إذا ما كانت التربية فيها تسير على أساس العقيدة الاسلامية والتعليم يسير على أساس تحقيق أهداف الاسلام .

المجتمع : المجتمع عامل هام من عوامل التربية — لما فيه من تنوع ولما له من آثار كبيرة — يشمل كل ما فى المجتمع من أصدقاء و من صحافة وإذاعة و تلفاز و خيالة و هيئات دينية و اجتماعية ورياضية الخ، الاسلام يعطى صورة

لاهمية المجتمع و تأثير بعضه فى بعض و ذلك فى الحديث الشريف الذى يقول « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها — كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها و بعضهم أسفلها — فكان الذين فى أسفل إذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» (١) .

و من هنا فان الاسلام يضع قاعدة للمجتمع تجعل كل فرد يحس بالمسئولية الاحساس الكامل فيقول ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الايمان) (٢) .

و هو بذلك يجعل المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى و السهر و كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

يبين الرسول ﷺ أثر الجليس الصالح و جليس السوء حتى يكون كل فرد على بينـــة من أمره فلا يصاحب إلا الصديق المخلص الناصح الصالح فيقول : (مثل الجليس الصالح و جليس السوء كصاحب المسك و نافخ الكير فصاحب المسك إما أن يحذيك و إما أن تشترى منه و إما أن تشم منه رائحة طيبـــة و نافخ الكير يحرق بدنك و ثوبك أو تجد منه رائحة خبيثة) .

و الأحداث التى يراها الأطفال فى الخيالة و فى التلفاز تظل فى ذاكرتهم مدة طويلة — و إن أكثر الحقائق تذكراً تلك التى تقترن بصفة وجدانية — و لقد كان للتلفاز أثر كبير فى رفع نسبة جرائم الأطفال حين اتجه إلى الاكثار من المناظر التى تتحدث عن الجرائم — ومثل ذلك الاذاعة والصحافة فان ذلك له أثر كبير على الأطفال بل و على الكبار أيضاً (٣) .

(يتبع)

(١) البخارى . (٢) البخارى .
(٣) كتاب أضواء على التربية فى الاسلام - مرجع سابق .

كعب بن زهير ، نسبه و شعره

—(٤)—

بقلم : الأستاذ المحقق أبي محفوظ الكريم معصومي
أستاذ في الحديث و التفسير
بالمدرسة العالية بكلكتا (غرب البنغال)

إنما انحدر إلينا الخبر عن رحلة بجير و كعب معاً عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ، و عنه أخذ هذا الخبر ثلاثة من تلاميذه بالترتيب التالي :

(الف) يحيى بن عمر بن جريج : باسناده ورد هذا الخبر في كتاب الآحاد و المثاني .

(ب) أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبيد بن عبد الملك الأسدي ، من طريقه روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري الخبر مع قصيدة بانت سعاد بطولها (١) .

(ج) أبو زيد عمر بن شبة (ت ٢٦٢) يروى عنه أبو الفرج الأصفهاني (٢) و بينهما اثنان من الرواة فقط .

فاذا ما انتهى إلينا عن ابن شبة يشبهه سياق ابن عبد البر (٣) و لكن ابن شبة تفرد بسياقه عن إبراهيم بن المنذر ، بينما اتفق اثنان من زملائه على النص التالي :

« خرج كعب و بجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف ، فقال بجير لكعب — الخ »

فهذا النص وما احتوى عليه من المغزى يترجح عندي بالنظر إلى الوجوه الآتية :

(١) راجع كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ٥٧٩ — ٥٨٢ (ط . الدكن) .

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١٤٢ .

(٣) قارن الاستيعاب (على هامش الاصابة) ج ٣ ص ٢٨١ .

١— ما أجمع عليه اثنان من الرواة أوثق على الظاهر مما ساقه راو واحد .

٢— قد جاء سياقهما ، اعتمده المحدثون ، فقد روى سياق أحدهما الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، ثم الامام البيهقي في دلائل النبوة (١) و أما الآخر فسياقه ورد في الآحاد و المثاني لابن أبي عاصم كما أشرنا إليه من قبل .

٣— ما ورد عن ابن شبة في كتاب الأغاني بالاسناد ، فيلاحظ بصدده أن الأسانيد و النصوص الواردة في كتب الأدب و المحاضرات لا تكاد تساوي أسانيد و متون المحدثين إذا نظرنا إلى قواعد النقد و أصول الرواية . و يخطر ببالي أن ابن شبة ربما آثر الحيطة و المحافظة على النص في سرد الرواية و لكن الآخذ عنه لم يمش على سواء الطريق ، و من هنا جاء سياق ابن شبة بخلاف ما اتفق عليه زميلاه .

٤— ذكر ابن الأثير في أسد الغابة (٢) أن الأخوين خرجا يقصدان رسول الله — و لكن سياقه بعد أن ذكر وصولهما إلى أبرق العزاف لا يمشي مع سياق ابن شبة أو ابن عبد البر ، بل يتفق مع الروايتين الواردتين في مستدرك الحاكم و تاليف ابن أبي عاصم .

و على هذا أنا مرة أخرى أقول أن دعوى صاحبنا بأن سياقه للقصة هو ما أجمع عليه الكتاب في تراجم الصحابة لا تقوم على أساس .

٥— ممن تحدث عن قصة إسلام كعب الشيخ جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١) أشهر شراح (بانت سعاد) فانه يسوق أولا ما بينه محمد بن اسحاق و عبد الملك بن هشام من أئمة السير و المغازي

(١) راجع البداية و النهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٧٢ .

(٢) راجع أسد الغابة ج ٣ ص ٢٤٠ .

ثم يسرد فوائد مهمة نقلا عن أبى بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى و أبى البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى (١) من كبار علماء الأدب و المحاضرات، و هكذا يقدم إلينا القصة على الوجه الذى قررنا ترجيحه ، فالعجب من صاحبنا أنه بالاشارة إلى ابن هشام الأنصارى ذكر أشياء فى مقاله ، ثم خالفه فى أصل القصة ، وكل يعمل على شاكلته .

علاوة على ذلك كله ، مما هو يسترعى الانتباه أن كعبا نشأ على اتصال موثوق متوارث بالشعر فأداه ذلك إلى حد الاستغراق فى التلهى و التغنى بسرد القوافى مع قلة مبالاته بالنظر فى وجوه المعاش لأهله و عياله بحيث يتخلص عن مسئولية كفالتهم بما فيه كفاية ، فلعل ذلك أثر فى شأنه الاقتصادى تأثيراً سيئاً للغاية ، أما اشتغاله برعى الغنم و تنمية الماشية و الضروع فلم يكن عملا مستمراً له ، من هنا جرى بينه و بين عياله نوع مشاجرة ، و بقى فى مجموع شعره بعض ما يشهد لذلك (٢) قال مثلا فى بعض مقطعاته (٣) :

تقول ابنتى ألهى أبى حب أرضه و أعجبـــه إلف لها و لزومها

وله قطعة أخرى استهلها بالبيت التالى (٤) :

يقول حياى من عوف و من جشم يا كعب ويحك هلا تشترى غنما

فبالاشارة إلى هذه الجهة النفسية لكعب يبدو لنا أن بجيراً حرض أخاه على مرافقته ، و اختار جهة المدينة بخصوصها ، و لاحاطته علما بطبيعة أخيه و آرائه ضد

(١) انظر ابن هشام الأنصارى : شرح بانت سعاد (ط . مصر ١٣١٧) ص ٣ .
(٢) ديوان كعب (مع الشرح) — ص ١٥٣ ، ٢١٣ .
(٣) المرجع الآنف — ص ٢٣١ .
(٤) نفس المرجع الآنف — ص ٢٢٤ .

رسول الله و الاسلام خطا نحو مشروعه بخطوات مادئة تنم عن الحزم و بعد النظر إلى أن بلغ معه إلى أبرق العزاف فأخبره عما أراد بطريقة لا تحمل كعبا على المنع ، و كان أبرق العزاف على قول السكرى على مسافة اثنى عشر فرسخا من المدينة أو على بعد عشرين فرسخا (١) فقط .

على كل حال ، فان هذه الرحلة وقعت لهما فى الغالب قبل غزوة خيبر أو بأوائل الهدنة ، حينما ساد الأمن و السلام ، و زالت المخافة من النفوس كلها لعموم الرأفة التى قام بها رسول الله ، حتى لم يبق أى خطر لكعب و أمثاله بل ولا لأكبر أعداء الاسلام ، قد حكى العلامة الزرقانى نقلا عن ابن أبى عاصم أن رواية كعب نفسه تقرر هذه الرحلة بعد فتح مكة (٢) ولكنها فى معتقدى لا تتصل بالرحلة التى انتهت بكعب إلى أبرق العزاف ، بل هى ترتبط برحلته النهائية التى احتضنت عواقب مباركة للغاية ، و حجة دعواى هذه ذلك التحديد الذى ورد أساسياً فى هذه الرواية ، و ينضاف إليها أن نزعة كعب إن كانت قوية بهذه المثابة عند الرحلة الأولى كما أن أخاه بجيراً أحس بها فى سريرة قلبه (على ضوء القرائن الواضحة المسرودة آنفا) فلا ندرى أى مانع صد كعبا من المرور إلى المدينة بعد وصوله إلى أبرق العزاف! وهب أن تكون هناك مصلحة خافية أعيتنا مداركها ، فكيف بلغ كعب الحد المتناهى فى استطارته غيظا على أخيه بجير و على اعتناقه الاسلام!

(١) انظر حواشى الباجورى على بانت سعاد — ص ٣ و الأقاويل تختلف فى مسافة أبرق العزاف من المدينة ، انظر المعالم المطابة فى معالم طابة (للفيروزآبادى ، تحقيق الأستاذ حمد الجاسر سنة ١٩٦٩) ص ٢٦١ (٣) كتاب المناسك و أماكن طرق الحج و معالم الجزيرة (للحربى — تحقيق الأستاذ حمد الجاسر - ١٩٦٩م ص — ٣٢٩ — ٣٣٠ ٦٠٤ — ٦٠٥ .
(٢) الزرقانى : حواشيه على المواهب اللدنية ج ٣ ص ٥٤ .

ومما ينبغى أن يلاحظ أن صاحب المقال كتب بأن هدنة الحديبية وقعت بآخر السنة السابعة (١) و الصواب أنها وقعت فى شهر ذى القعدة لسنة ست (٢) من مهاجرة النبى عليه الصلاة و السلام .

أما عدم عودة بجير إلى أخيه أو سهوه عن مغزى قصده الأول عندما سافر إلى المدينة فلا يكاد شئ منهما يكون موجبا لمثل ردة العمل هذه التى أبداها كعب فى شعره ، و إلى جانب هـذا يبدو لنا أن فترة الهدنة و السلام السائد بتمامها انقضت، ومع ذلك لم يتسن لكعب فى أثنائها ما يعبر عنه بنقطة التطور فى حياته، اعنى النقطة التى كانت هى فاتحة المسير على الصراط المستقيم ، حتى إن أهل مكة و بالخصوص بقية صناديد قريش تعاونوا مع بنى بكر ، فصاروا يداً واحدة على خزاعة حلفاء الاسلام ، فانتهض عند ذلك النبى الكريم مستجيباً لاستغاثتهم ، و أزمع السير إلى مكة فى أصحابه ، فبما أن قريشا نقضوا العهد و الميثاق فعادوا و عاد معهم كعب مرة أخرى إلى نفس الموقف العـدائى الذى استمر لهم الوقوف به قبل الهدنة ، بل قد تضاعف سخط كعب على الاسلام بحيث إنه لم يسخط فقط على أخيه بجير بل استهدف أيضاً رسول الله و الاسلام ، ولعل موقفه هـذا ضد الاسلام أكسبه تبعات أخرى كثيرة ، منها ما ساقه أبو عمرو بن العلاء (٣) كما و رد عنه فى تصحيح الأنساب لابن أبى الفوارس (٤) فانجر مجموعها إلى هدر دمه (٥)

(١) انظر مجلة برهان (مارس ١٩٧٩) ص ١٤٣ .
(٢) ابن سعد كتاب الطبقات الكبير (ط الكوثرى) ج ٣ ص ١٣٩ و هذا هو نص العبارة ، خرج للعمرة فى ذى القعدة سنة ست مهاجره .
(٣) انظر البغدادى : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ج ٤ ص ١١ .
(٤) انظر إنسان العيون ج ٢ ص ٣٣٧ .
(٥) انظر الشفاء للقاضى عياض ج ٢ ص ٢١٧ ، إنسان العيون ج ٢ ص ٢١٨ ، ٣٣٦ .

فهل كان بجير فى أثناء هذه المدة بطولها خلوا من حب أخيه تماما! كلا بل استمر يحبه حباً جماً كما هو مقتضى البشرية إلا أن حبه لرسول الله كان أشد و أما حبه لشقيقه فكان غير مشوب حتما لكونه فى إطار التربيـة الاسلامية و لذلك قد اجتهد بجير فى الوفاء بمقتضى المحبة الخالصة لأخيه شأن المؤمن القانت ، وما خطر بباله قط أن يخفى شيئاً منها من الرسول عليه الصلاة و السلام فبذل وسعه فى إراءة طريق النجاة لأخيه كما نبهـه أيضاً على أسوأ العواقب لتماديه على الباطل و تسكعه فى الظلام الحالك ، قد انحدر إلينا فى هـذا الصدد من طريق إبراهيم ابن المنذر أن بجيرا بعد وصوله إلى المدينـة راسل أخاه كعباً مرتين على الأقل و فى المرة النهائية أشار عليه بالقدوم إلى رسول الله مؤمنا بالله و رسوله ، و بعد اللتيا و التى فقد أتت تلكم اللحة السعيدة فى حياة كعب بن زهير حيث انجابت عن قلبه و ضميره جلابيب النزعات الظلمانية و تجلت الغرة البيضاء بنورها المتبلج ، بالنظر إلى ظواهر الأعمال كانت الأبواب مغلقة دونه و لكن بقية الرجا شجعته على القدوم إلى الرسول و أنشأت فيه همة للمواجهة ، و لنعم ما قال .

أنبئت أن رسول الله أوعدنى و العفو عند رسول الله مأمول

فما أن و قد ألحق فى خاطره إلا أنشد هذه اللامية معربا فيها عن شئونه الماضيـة و معانى التلهف على الفائت و الارعواء عن الباطل مع تطلب العفو و الاستظلال بوارف أذيال الرحمة ، فتيمم حضرة الرسالة خارجا برأسه من حنادس الظلمات المدلهمة إلى دارة النور الشمشمانى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمت إلى النور) و هذا كما هو يقول :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

بعد الفتح فحنين و الطائف عاد رسول الله إلى المدينة فدخلها لست ليال بقيت من ذى القعدة سنة ثمان هجرية على قول أبى عمر و المدنى كما حكاه ابن هشام فى مختصر السيرة (١) ، و بناء على ذلك لعله اتفق للكعب أن يرد المدينة بعد العودة النبوية إليها ، فقد بقى فى الوقت بعض سعة لقدومه على الرسول قبل أن تنقرض السنة الثامنة تماماً كما يلوح ذلك من سياق الامام الزرقانى (٢) ، و كذلك الحافظ ابن كثير توأ بعد فراغه من بيان عمرة الجعرانة (سنة ثمان) ترجم للكعب ترجمة ضافية (٣) غير أن الحافظ ابن سيد الناس اليعمرى أتى بمزيد التوسعة فى كتابه عيون الأثر (٤) فذكر ورود كعب خلال الفترة بين عودة النبى الكريم من الطائف و قصده لتبوك ، و ذهابا إلى هذا التقدير يرى الزرقانى بصراحة أن ذلك تأخر إلى ربيع الآخر سنة تسع أو إحدى الجماديين سنة تسع (٥) .

وقع الانشاد فى مسجد النبى عليه الصلاة و السلام بالمدينة بعد صلاة الفجر وسيق بيان ذلك باختلاف يسير فى المراجع المتداولة ، كما ورد ذلك ملخصاً فى مقالة صاحبنا بالأردوية ، و قد كتب أحد المستعربين R. Bassel فى دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ما مغزاه (٦) :

(١) راجع مختصر السيرة لابن هشام (مع الروض الأنف) ج ٤ ص ١٥٧ (دار المعرفة للطباعة و النشر سنه ١٩٧٨) .

(٢) الزرقانى على المواهب : ج ٣ ص ٥٤ .

(٣) راجع البداية و النهاية ج ٤ ص ٣٦٨ — ٣٧٤ .

(٤) راجع عيون الاثر .

(٥) المواهب : ج ٣ ص ٥٤ .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الأولى ج ٢ ص ٥٨٤ .

« هو (أى كعب) بغتة ظهر فى سنة تسع أمام الرسول ﷺ فى مسجد و أنشد قصيدته الشهيرة « بانت سعاد » .

فلا يغترن أى واحد من تنكير لفظة مسجد (A masque) لأن الروايات تضمن فى هذا الصدد بذكر المسجد النبوى ، صريحاً ، و لاختلاف المصادر فى ذكر هذا المسجد رأى صاحبنا رأيا قيده بما معناه :

« إن كعبا أنشد « بانت سعاد » فى بيت الحرام ولا فى المدينة » (١) .

فلعله اقتبس ذلك من رواية وردت فى كتاب الأغانى وقد رواها إبراهيم ابن المنذر عن على بن زيد (بن جدعان) مع انقطاع فى الاسناد (٢) ثم نفس هذه الرواية ألم بها ابن هشام فى مختصر السيرة على النمط التالى (٣) : « و ذكر لى عن على بن زيد بن جدعان أنه قال انشد كعب بن زهير رسول الله ﷺ فى المسجد » و جاء ذلك بخلاف ما ورد به التصريح فى سياق الأغانى ، و لقائل أن يقول بأن ابن هشام ساق ذلك على وجه المذاكرة فلا يستساغ الاستناد به فيقال له أنى ترد على ذلك بعد أن يدعمه و يوضحه صنع الحاكم النيسابورى فى فى المستدرك (٤) فقد روى نفس هذه الفقرة عن ابن جدعان باسناده ، و ما اتفق عليه المصدر أن لا يرجح عليه رواية الأغانى فالقول بالاستناد إليها أن « بانت سعاد » انشدت فى المسجد الحرام غير حقيق بالاعتماد .

ثم هذا الاحتمال يتلاشى إذا اختبرناه على ضوء المجرى التاريخى للحوادث ،

(١) انظر مجلة برهان الأردوية (ج ١٩٧٩م ص ١٥٤) .

(٢) كتاب الأغانى ج ١٥ ص ١٤٤ .

(٣) مختصر السيرة (مع شرح السهيلى) ج ٤ ص ١٦١ .

(٤) راجع المستدرك على الصحيحين : ج ٣ ص ٥٨٢ .

إذ ليس هناك أى قائل يدعى حدوث هذا الانشاد باثناء إقامته عليه السلام بعد الفتح بمكة المكرمة ، و قد أقام بها إلى تاسع شوال سنة ثمان ، و كان فى وادى حنين صباح العاشر ثم استمر محاصرا للطائف طيلة أربعين يوما (١) و مدة الاقامة بمكة تتراوح بين خمس عشرة ليلة و ثمان عشرة ليلة (٢) و عند رجوعه عليه السلام من ألطائف طال مكثه بالجعرانة نحو ثلاث عشرة ليلة و اعتمر منها فدخل مكة ليلا و أدى العمرة و عاد إلى الجعرانة فى الليلة نفسها و آذن بالسير إلى المدينة (٣) و قد ذكرنا قبلئذ أن ورود النبى عليه السلام بالمدينة اتفق على قول أبى عمرو المدنى بأواخر ذى القعدة .

فلو تصورنا وفادة كعب على رسول الله فى بعض هذه الفترات المذكورة آنفاً ، إلكانت فترة قيام النبى ﷺ بمكة بعد الفتح أوفق للوفادة ، ولكن الروايات تخلو من ذكرها تماما ، ثم إن الامارات تدل على خلافها ، ثم بعد هذه الفترة تاتى فرصة مكثه عليه السلام بالجعرانة حيثما حضر بنو سعد و غيرها من قبائل العرب المتجاورة معتذرين و طالبين للعفو و الرفو ، و لكن كعبا رضى الله عنه لم يذكر أى واحد من الرواة وفادته خلال هذه الفرصة ، فطبعا يقتضى مجرى الحوادث التاريخية إلى أن وفادة كعب تأخرت إلى عودة النبى ﷺ إلى المدينة بعد الفتح .

و مما يساعدنا أيضاً أن رواية الحاكم النيسابورى فى مستدركه و قد رواها عنه البيهقى أيضاً فى دلائل النبوة اشتملت على النبذة التالية بنصها و فصها :

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٣ ص ٢٠٠—٢١٢ (تحقيق الكوثرى) .
(٢) المرجع الآنف ج ٣ ص ١٩٠—١٩١ .
(٣) نفس المرجع الآنف ج ٣ ص ٢٢٤ ، إنسان العيون ج ٢ ص ٢٥٣ .

« ثم أقبل حتى أناخ راحلتـــه بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم دخل المسجد (١) و علاوة عليها روى الحاكم أيضاً باسناده قول موسى بن عقبة التالى :

« قال أنشد النبى ﷺ كعب بن زهير ، بانت سعاد ، فى مسجده بالمدينة (٢) و بعد سرد الروايتين علق الحاكم عليهما تنويها بما لهما من قيمة فنية فقال :

« فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة و حديث الحجاج بن ذى الرقيبة فانهما صحيحان » (٣) و هذا التصحيح لم يتسن لمثل الذهبى من صيارفـة الحديث إلا أن يقبله فى هدوء ، و خلاصة البحث أن قول المستعرب الفرنساوى R. Bassel الذى ترك المسجد بكرة لا تتعرف ثم تعرف صاحبنا الدكنى بأن ذاك المسجد الحرام كلاهما جاء على خلاف التصريحات الموثوقة ، و الصواب فى ضوئها أن كعبا زار النبى فى مسجده بالمدينة ، و القول المذكور عند الزرقانى بأن ورود كعب وقع فى سنة ثمان هجرية ينبغى أن يقيد على مقتضى المجارى التاريخية بأنه اتفق غب وصول النبى إلى المدينة ، و هذا هو الراجح فى الغالب .

« يتبع »

(١) راجع المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٢٧٩ ، البداية و النهاية ج ٤ ص ٣٧٢ (قبسة نقلها ابن كثير عن دلائل النبوة للبيهقى) .
(٢) أيضاً المستدرك ج ٣ ص ٥٨٢ .
(٣) المرجع الآنف .

« ولاية المرأة فى الاسلام »

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد قاسم المظفر فورى
رئيس قسم الحديث بجامعة سوفول بيرول دربنجه بهار
تعريب : محمد رحمة الله المظفر فورى

لا شك فى أن المرأة صنو الرجل و أن كلا من الرجل و المرأة يشكل جانباً مهماً فى بناء الحياة الانسانية الطبيعية ، و لذلك فان القرآن الكريم — الذى هو كتاب الهداية و الطبيعة — قد سوى حقوق ذينك الصنفين ، و قام بايجاد التكافؤ فيما بينهما ، إلى هذه الحقيقة يشير الله عز وجل « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨) حتى إن القرآن الكريم قد اختار كلمة « الزوجين » البليغة التى إن دلت على كون الصنفين متساويين فى جانب فانها تلقى ضوءاً على التعبير المشترك عن غايتهما فى جانب آخر ، يقول الله تعالى : « هن لباس لكم و أنتم لباس لهن » (سورة البقرة ، الآية : ١٨٧) و معلوم أن اللباس لايخلو من أغراض ثلاثة : ١— الستر ، ٢— الوقاية من الحر والبرد ٣— الزينة ، وتجمع تلك الأغراض الثلاثة كلمات القرآن الغريزة المعنى « السكينة و المودة و الرحمة » و قد تبين أن وجود النساء و الرجال للعيش الهنئ و لبناء الحياة الرغيدة فى العالم الانسانى أمر فى الأساس ، و مع ذلك يجب أن نعترف بأن الرجل لهم تفوق وسبق على النساء فى خصائص مختلفة مثلا فى قوة الجسم و التعمق الفكرى و العقلى وقوة العزم الراسخة المصممة و بنية الخلق ، و كذلك فى المؤهلات و الكفاءات ، ونظراً إلى هذه الأسس فان هناك قسمة متوازنة عادلة فى الشريعة الاسلامية لنطاق العمل و وظيفة كل منهما ، حيث إذا تعدى كلا

الصنفين حدود عملهما و تجاوزا وظيفتيهما الأصيلتين لأدى ذلك إلى توافر الشر و الفساد فى المجتمع ، و تأثرت به الحياة إلى أبعد المدى .

و قد منح الله جل وعلا الرجال صفة « القوامية » فى قوله « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا » (سورة النساء ، الآية : ٣٤) من أجل خصائصهم المختلفة .

فهل تتمتع المرأة بالسلطة أو الولاية فى الواجبات والمسئوليات التى فرضت عليها فى المجتمع الاسلامى رغم ضعف بنيتها ، وكذلك فى القضايا الشخصية أم لا ؟.

ثم إن الشئون التى لا صلة لها بالمرأة بل هى تتصل بالرجال ، هل للمرأة خيار فى هذا الصدد أم لا ؟ .

الروايات و الأحاديث :

إن كثيراً من الأحكام والمسائل والضوابط الأصولية فى الشريعة الاسلامية تستنبط من الأحاديث ، ويتبين من استقراء كتب الحديث أن نساء العهد النبوى المبارك الزكيات قد قمن باهتمام بالغ فى نقل أقوال الرسول ﷺ ، و قائمة أسمائهن طويلة ، و منهن : عائشة ، بريرة ، خولة ، خنساء ، أم سلمة ، أم عطية و فاطمة رضوان الله عليهن ، فان النساء قد روين أحاديث كثيرة ، يجب قبول روايتهن فى الشرع ، حق إن أخبارهن كذلك توخذ فى الأمور الدينية .

يقول الامام محى الدين النواوى ، و هو يشرح قول الامام مسلم رحمه الله تحت بيان الفرق بين الشهادة و الخبر : و اعلم أن الخبر و الشهادة يشتركان فى أوصاف و يفترقان فى أوصاف ، فيشتركان فى اشتراط الاسلام و العقل و البلوغ والعدالة و المروءة وضبط الخبر و المشهود به عند التحمل و الأداء ، و يفترقان فى الحرية و الذكورية و العدد و التهمة . . . . . فيقبل خبر العبد و المرأة

و الواحد » (مقدمة صحيح مسلم مع شرحه للنواوى ٦/١ طبع أصح المطابع بدلهى) فقول النساء معتبر به فى كثير من الأحكام و المسائل ، يقول العلامة المرغينانى رحمه الله : « إذا كانت علة بالسماء قبل الامام شهادة الواحد العدل فى رؤية الهلال رجلا كان أو امرأة حراً كان أو عبداً ، لأنه أمر دينى فأشبه رواية الأخبار » (الهداية للمرغينانى ١٩٧/١) .

ولاية الافتاء و الاستفتاء :

هناك مآت من النوازل و الحوادث التى نطلع على حلها الصحيح الواقعى بمـا دار بين الصحابيات رضى الله عنهن و الرسول ﷺ ، من الأسئلة حول أمور دقيقـة خفية ، منها أحكام متعلقة بوجوب الطهارة و منها أمور متعلقة بجوانب طبية ، كما نجد فى قول الرسول - ﷺ - : « من أيهما سبق أوعلا يكون منه الشبه » و قوله : « إذا علاءماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله » .

حتى إن النبى ﷺ قد أشاد بأم سليم رضى الله عنها التى كانت تسأل عن هذه الجوانب الدقيقة ، وقال : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » فقد ثبت أن الصحابيات و التابعيات كان لهن حظ فى الاستفتاء والافتاء .

ولاية الشهادة :

إن الشهادة وسيلة محكمة لاحياء الحقوق ، و ذلك هو السبب لاهتمامها البالغ فى الشريعة الاسلامية ، ولذلك فانه قد أمر بتكريم الشهود ، يقول الرسول ﷺ : « أكرموا الشهود فان الله يحي بهم الحقوق » منحت المرأة ولاية الشهادة فى جانب ولكن زيد فى نصاب شهادتها من أجل النقص فى عقلها وقوة ضبطها ، يقول الله عز وجل : « فاستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل و امرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى »

(سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢) فقد دلت الآية عن طريق اقتضاء النص على كون المرأة أهلا للشهادة ، و لا تقبل شهادة النساء المنفردة دون الرجال إلا فى بعض من الوقائع الاستثنائية ، و قد ألغت الشريعة الاسلامية شهادتهن فى بعض الأمور الخاصة و قبلت شهادتهن وحدهن لا غيرهن فى بعض الأمور الخفية التى لا تقبل فيها شهادة غير النساء ، لأنهن جديرات بعلم تلك الجزئيان الخفية والكيفيات الباطنة وهن فى غاية من الاطلاع على مثل هذه الأشياء .

فقد صرح العلامة المرغينانى رحمه الله — مؤلف الهداية — عن الشهادة و هو يبين مراتب الشهادة و درجاتها : « و لا تقبل فيها شهادة النساء لحديث الزهرى رحمه الله ، مضت السنة من لدن رسول ﷺ و الخليفتين من بعده أن لا شهادة للنساء فى الحدود و القصاص . . . . . و أما ماسوى ذلك من الحقوق فتقبل فيها شهادة رجلين أو رجل و امرأتين ، سواء كان الحق مالا أو غير مال مثل النكاح و الطلاق و الوكالة و الوصية » انتهى ما فى الهـداية (الهداية المجـلد الثالث ص ١٣٨ كتاب الشهادة) و الامام الشافعى رحمه الله الذى يقوم بموقف حاسم شديد فى مجال ولاية المرأة و سلطتها يصرح كذلك بأن شهادة النساء مقبولة فى القضايا المالية و العقود و التصرفات ، و أما الأحناف فانهم يقبلون شهادة المرأة فى جميع الحقوق المالية و غير المالية ، بل هناك بعض الأمور التى لا تقبل فيهـا إلا شهادة المرأة ، ليس ذلك فحسب بل هناك بعض الأمور التى تقبل فيها شهادة المرأة الواحدة على خلاف من نصاب الشهادة .

يقول العلامة المرغينانى رحمه الله تعالى : « و يقبل فى الولادة و البكارة و العيوب بالنساء فى موضع لا يطلع عليـه الرجال شهادة امرأة واحدة لقوله عليـه السلام : شهادة النساء جائزة فيما لا يستطيع الرجال النظر إليه (نفس

المصدر ١٣٩/٣) ، ومنح أهلية الشهادة للمرأة هكذا فى الشريعة الاسلامية السمحاء يظهر و يدل على توسيع نطاق ولاية المرأة و سلطتها .

أهلية القضاء و الحكم :

و هنا بحث علمى مهم و هو هل يسمح للمرأة أن يفوض إليها منصب الحكم و القضاء أم لا ؟ و هل تستخدم مواهبها و مؤهلاتها فى فصل الخصومات و رفع النزاعات ؟ لا شك أن بعض النساء تحتل مكانة مرموقة و تحصل على الميزة العقلية ، يتجلى نموذج من ذلك فى ملكة « سبا » فمن الذى ينكر رأيها القيم الذى ارتأته فى نتائج الغزو الملوكى حيث إن القرآن الكريم قد سجل ذلك و أشاد به : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون » (سورة القصص الآية : ٣٤) .

و يبدو من كتب الفقه الحنفى المتداولة مثلا فتح القدير و غيره أن المرأة تتأهل أن يفوض إليها منصب الحكم و القضاء ، و ذلك فى الأمور التى تقبل شهادتها فيها ، حتى لو كانت أقضيتهن تبتنى على المبادئ الاسلامية فانها توخذ بها و تقبل ، لكن المرأة لا تجدر بالقضاء فى الحدود و القصاص و التعزيرات الأخرى ، أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى فانه لا يجوز تفويض منصب القضاء إلى النساء مطلقاً ، و رغم ذلك ذكر فى الدر المختار « المرأة تقضى فى غير حد وقود ، و إن إثم المولى لها لخبر ما جاء فى البخارى « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » ، و لذلك فانه قد كره تقرير المرأة حاكماً و قاضياً ، إن بعض العلماء قد قرر المرأة كالحكم دون أن تقوم على منصب القضاء أو تحصل لها ولاية القضاء ، ذلك كتعيين رجل حكماً فى قضية فرعية ، و ملخص القول : إن المرأة ليست جديرة بالقضاء أو الولاية مهما كانت .

الولاية العامة للملكة :

أجمع الفقهاء على أن المرأة لا تكون إماماً و لا حاكماً لأى مملكة إسلامية و ذلك لأن القيام بأمور الدولة و تنفيذ السيطرة القوية فى جميع شعبها إنما يحتاج إلى ولاية تكون عامة شاملة كاملة من جميع نواحيها ، فان الامام والخليفة حينما يحتاج إلى القوة الجسمية البدنية كذلك لا بد له من أن يكون متحلياً بحلية العقل و الفهم بغاية من الكمال ، و من المستحيل أن يقدر صنف المرأة السريع الانفعال على جميع أمور الحل و العقد لحكومة أو دولة ، و لذلك فقد اتفقت الأمة فى ضوء الأثر الصحيح الذى ورد فى صحيح البخارى « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » على أن المرأة لا تصلح أن تفوض إليها أزمة أمور الدولة بل لا بد من أن يكون الرجل حاكماً أو ولياً ، و قد صرح القاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الحديث المذكور فقال : . . . « هذا نص فى أن المرأة لا تكون خليفة و لا خلاف فيه » (أحكام القرآن ١٤٤٥/٣ ، و تفسير القرآن للقرطبى ١٣ / ١٨٣) .

و يقول العالم الجليل المحدث الشهير فى القرن الخامس الهجرى « العلامة البغوى رحمه الله تعالى » فى مؤلفه المعروف المسمى « بشرح السنة » : اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إماماً . . . . لأن الامام يحتاج إلى الخروج لاقامة أمر الجهاد و القيام بأمور المسلمين . . . و المرأة عورة لا تصلح للبروز (شرح السنة للبغوى رحمه الله تعالى ٧٧/١٠ باب كراهية تولية النساء ، طبع بيروت ١٤٠٠هـ) و قد ذكر الامام الغزالى رحمه الله تعالى اشتراط المذكورة فى الشروط الأساسية لانعقاد الامامة ، حتى لو اتصفت امرأة بجميع الصفات الحكمية و الولائية لا تعتبر خلافتها و إمامتها فى الشريعة الاسلامية ، و كذلك العلامة

الماوردى رحمه الله تعالى فى مصنفه « الأحكام السلطانية » لم يجوز إمامة المرأة فقال : « و أما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف و شروطها أقل . . . و لا يجوز أن تقوم بذلك امرأة ، (الأحكام السلطانية للماوردى رحمه الله ص ٢٧، ٢٨) و قد نقل العلامة ابن حزم الظاهرى إجماع الأمة على إمامة المرأة أنها غير جائزة فقال : « اتفقوا على أن الامامة لا تجوز لامرأة » (مراتب الاجماع لابن حزم الظاهرى ص : ١٢٦) ، غير أن بعض العلماء قد سلموا قيادة المرأة بأن تكون من أعضاء البرلمان ، و رئيس الوزراء فى النظام الديمقراطى يكون كالمستشار فى الوزارة فأصبحت المرأة كالفرد المستشار ، و إنها تستحق أن تكون عضو المشورة، (راجع إمداد الفتاوى للتهانوى رحمه الله تعالى لمزيد من الاطلاع على تفاصيل هذه القضية) لكن الحكومة المستقلة الكاملة التى توجد فيها جميع خصائص الامامة الكبرى لا تكون المرأة متأهلة لها و ذلك أمر مجمع عليه.

ولاية الانكاح :

فى بعض الأحوال الخاصة الخطيرة للمرأة أن تقوم بأداء مسئولية ولاية الانكاح لأولادها الصغار و بناتها الصغيرات - و يوجد هذا التصريح فى كتاب الفقه الحنفى المعروف « شرح الوقاية » « الولى هو العصبة على ترتيب الارث والحجب ثم الأم، يعنى عند عدم العصبات ولاية التزويج إلى الأم و أم الأب . . . الخ » (هامش شرح الوقاية ٢/٧٢) .

ولاية الحضانة :

إن الأب و الأم يحبان أولادهما الصغار حباً جماً من حيث الطبيعة و الفطرة ، إن الشفقة الأبوية و حنين الأم من الرحمة الربانية ، و مع ذلك فان مسئولية تربية الأولاد الصغار المهمة و حضانتها ترجع إلى الأم كما

تقتضيه الأخلاق ، حتى إن القانون الاسلامى يسمح الأمهات بتلك الحقوق - التربية و الحضانة - فى زمن يعزل الزوج زوجته ، ويريد تربية أولاده الصغار بنفسه فانه لا يتمتع بهذا الحق ، والمرأة تستحق ذلك الحق - لا سيما الحضانة - فى هذا الزمن الخاص ، وذخيرة الأحاديث النبوية غنية فى هذا الصدد بالنزاعات و الخلافات العجيبة التى حدثت فى عصر النبى ﷺ ، جاءت امرأة لدى رسول الله ﷺ و جعلت تقول - و كانت كلماتها نموذجاً رائعاً مشرقاً خلاباً لفصاحة التعبير العربى : « يا رسول الله ! « إن ابنى هذا كان بطنى له وعاءاً و حجرى له حواءاً و ثدى له سقاء و زعم أبوه أنه ينزعه منى ، فقال عليه السلام : أنت أحق به ما لم تتزوجى » .

و كذلك سيدنا عمر رضى الله عنه عند ما عزل امرأته فقال له أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن الحضانة : « ريقها خير له من شهد و عسل عندك يا عمر » فقد تبين من ذلك أن ولاية الحضانة حق يختص بالنساء .

الولاية على المال :

إن الشريعة الاسلامية قد منحت النساء حرية كاملة و أطلقت لها العنان فى مجال العقود و التصرفات و سمحتها بالاستقلال حتى إنها تصلح أن تتحمل أعباء حقوق الآخرين ، لكن الشرط الأساسى فى ذلك أن تكون متحلية بحلية العقل و التمييز ، فان القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الحقيقة بألفاظ مساوية فقال : « للرجال مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن » (سورة النساء : ٣١) .

الولاية على النفس :

إن المرأة المسلمة مستقلة بنفسها كليا فى شئونها الشخصية و مرافقها الذاتية لا سيما فى شأن زواجها و المرأة العاقلة البالغة التى لم يبق لها شئ من النقصان

فى عقلها من أجل كونها بالغة إنها متمتعة بحرية الضمير تجاه تزوجها ، و المرأة البالغة ذات استقلال كامل فى هذا المجال كما يرى الامام أبو حنيفة غير أن المواقع التى يغلب فيها الظن لأى مضرة و الأولياء يشعرون فيها بالعار و العيب فلهم حق الاعتراض و فسخ النكاح .

و النصوص الشرعية التى وردت فى هذا الموضوع قد أسند فيها عقد النكاح إلى النساء و نسب إليها فى مواضع شتى ، كما فى قوله تعالى : « فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره » (البقرة : ٢٣٠) فالنكاح عمل و فعل ، و الفاعل الذى أسند إليه هذا الفعل هو المرأة نفسها ، و فى الآية دليل على أن إيجاب المرأة و قبولها نافذ مسموع فى الشرع ، و كذلك قوله تعالى : « و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » (البقرة : ٢٣٢) و فى الآية نفسها عمل النكاح منسوب إلى المرأة ، و ذخيرة الأحاديث النبوية الصحيحة غنية بالأحاديث التى يترشح منها أن المرأة مستقلة بنفسها فى باب النكاح ، مثلا قوله ﷺ : « الأيم أحق بنفسها من وليها » (سنن الترمذى ١ / ١٣١ أبواب النكاح) و كذلك قوله ﷺ : « ليس للولى مع الثيب أمر » (نفس المصدر) و كذلك « البكر تستأذن فى نفسها و إذنها صماتها » (نفس المصدر) فقد تحقق من هذه النصوص الصريحة الواردة فى أبواب النكاح أن المرأة تتمتع بالحرية الكاملة و الاستقلال الكلى فى ترجيح قرابتها ، و أنها لا تنكح دون إذن منها .

ولا شك أن هناك موقفاً آخر كذلك ، و ذلك أن النكاح أمر مهم خطير ، وله آثار عميقة جداً فى الحياة الاجتماعية و العائلية . لذلك فان المرأة متقيدة باختيار الأولياء و تابعة لهم ، ولا تستحق أن تتزوج دون إذن الولى ، لكن الواقع أن ما ذهب إليه الامام الأعظم رحمه الله راجح قوى فى ضوء البراهين القاطعة و الدلائل القوية و أجدر أن يسلك عليه ، و بذلك تستقل المرأة بحرية نفسها و ذاتها التى تنحصر عليها هناءة حياتها فى المستقبل .

الخدمات الغزوية :

هل يسمح للمرأة أن تساهم فى الخدمات الغزوية أم لا ؟ إن دراسة أبواب المغازى فى التاريخ الاسلامى تكشف لنا هذه الحقيقة كالشمس فى رابعة النهار ، أن النساء لعبن دوراً بارزاً ملموساً و قمن بخدمات جليلة — لا يستهان بها — فى مجال الغزوات و المعارك المختلفة فى عصر النبى ﷺ .

إن فى الغزوة أمرين ، أمر شن الغارة و الهجوم على الأعداء ، و الأمر الآخر المهم هو القيام بخدمات طبية وغير طبية للعساكر و الجيوش ، فان النساء كن يقمن بهذا الأمر الآخر فى الغزوات الاسلامية ، فقد روى البخارى فى صحيحه عن أنس يقول : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ قال : و لقد رأيت عائشة بنت أبى بكر و أم سليم و انهما المشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب . . . . ثم تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنهما تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم ، و كذلك روى البخارى فى صحيحه عن الربيع بنت معوذ قالت كنا مع النبى ﷺ نسقى و نداوى الجرحى و نرد القتلى إلى المدينة ، (باب مداواة النساء الجرحى فى الغزو) .

(فتح البارى المجلد السادس : ٥٥ — ٦٠)

و قد سئل رسول الله ﷺ « هل على النساء جهاد ؟ قال : جهاد لاقتال فيه ، الحج و العمرة ، إن القتال و الجهاد ليس بواجب على النساء لكن إذا هجم الكافرون ولا معدى من الاشتراك فانهن حينئذ يشتركن

و من الملاحظ أن الشريعة الاسلامية قد منحت النساء الولاية الضرورية ومع ذلك وجهت إليها من الارشادات و التوجيهات القيمة الأساسية التى تتصل بها روح الاسلام فى الواقع .

١— إن استخدام المرأة فى المستشفى و تقريرها فى الكلية و النوادى و البرلمان و كذلك فى قسم التليفزيون أو مثلها من المؤسسات الأخرى يصادم العصمة و العفاف الذى هو الميزة الخاصة للمرأة المسلمة ، ومثل هذه الحرية للنساء لعنة العصر الحديث التى هى منشأ الشهوات و إثارة الغرائز الجنسية .

٢— ذهاب المرأة إلى المسجد — وهى متطيبة — حرام .

٣— لا يجوز ذهاب المرأة إلى الخارج بغير حاجة ماسة بما تقتضيه عبارة نص قوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن » إلا أن يكون النفور عاماً .

٤— لا تحج ولا تسافر زيادة على ثلاثة أيام دون محرم لقوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تومن بالله و اليوم الآخر أن تسافر سفراً فيكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها » (رواه الترمذى فى سننه ، باب فى كراهية أن تسافر المرأة وحدها ١/١٣٩) .

—٥ حيث تكون مخافة الفتنة لا تذهب إلى المسجد أيضاً « لما يروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل » (سنن الترمذى أبواب العيدين ١/٧١) .

فالخلاصة أن الذكور و الاناث كليهما متساويان من حيث الاجلال و التكريم ، و كذلك من حيث الأخلاق و ثواب الآخرة ، لكن دائرة عمل كل منهما مستقلة بذاتها ، أما السماح بممارسة الاعمال السياسية و الحكومية للنساء فيعتبر ذلك إخراجها من ساحة التدبير المنزلى و التربية و الحضانة ، و لهن أن يتعلمن فى المدارس الرسمية و الكليات علوماً عصرية لكن التقيد بالقيود الاسلامية لازم ضرورى ، و الأهم فى ذلك أن لا يكون التعليم مختلطا ، و أحوط أن تختار المدارس الخاصة بالنساء حيث المعلمون من النساء ، اللهم فقهنا فى الدين و علمنا التأويل ، إنك مجيب الدعوات و أنت المؤفق و المعين .

المصالح الاجتماعية

— ٧ —

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله الرحمانى
تعريب : الأخ محمد فهيم أختر الندوى

من أهم أصول الفقه الأساسية ترجيح مصالح الجماعة على مصالح الفرد ، فاذا تعارضت مصالح الجماعة مع مصالح الفرد ترجح مصالح الجماعة على الأخرى بشرط أن لا يتناول ذلك حقوق الفرد الصحيحة ، نوضح هذا ببعض الأمثلة :

حرم الربا مع ما فيه من منافع كثيرة للتجار ، فرض القصاص و فيه سر بقاء حياة الناس مع أنه ضرر كبير للقاتل ، لم يسمح للتجار بتنفيذ مشيئتهم فى تسعير الأموال مع أن فى ذلك نفعاً كبيراً لهم ، ذكر القرآن قاعدة الحرب « و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة » و فى هذا مصلحة الجماعة العامة حتى يستأصل الفساد و يأمن الناس منه ، فى جميع هذه الضوابط يقصد ترجيح مصالح الناس الاجتماعية على المصالح الفردية مع مراعاة حرية الفرد و اختياراته الجائزة فى نطاق خاص .

الواقع أن الاسلام سلك طريقاً وسطاً بغاية من الاتزان و الاعتدال بين مصالح الجماعة و مصالح الفرد ، إنه لم يفرط فى مصالح الفرد بحيث جعل من الأفراد جمعاً حاشداً مكتوفى الأيدى كأنهم قطيع من الغنم يسوقه الجماهير ، و لم يفرط فيها بحيث ترك الأفراد يدوسون مصالح الجماعة العامة لأغراضهم ومنافعهم

الشخصية ، بل أقام لهم حدوداً فكرية و خلقية و قانونية حتى لا يصيب الجماعة أى ضرر .

و من هذه الأصول قاعدة فقهية تقول : « يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » .

قال الشاطبى عن الأمور المباحة الجائزة أن المباحات التى تتعلق بفعلها أو تركها المنافع أوالمفاسد الاجتماعية يجب القيام بها رعاية لهذه المنافع أو المفاسد الاجتماعية ، و ربما تستحق الحكومة أن تتدخل فى مثل هذه الشؤن محافظة على المصالح الاجتماعية ، ذكر الفقهاء من أمثلة ترجيح المصالح الجماعية على المصالح الفردية أنه إذا وقع بعض المسلمين أسارى فى جيش أعداء الاسلام ، و يأتى بهم الأعداء فى الحرب و يوقفونهم أمام جيش المسلمين بحيث إذا هجم المسلمون على جيش العدو أو ردوا على مهاجمته يذهب الأسارى المسلمون ضحية هذه المهاجمة ، فأولا يسعى جيش المسلمين بكل طريق ممكن أن يتم لهم النصر على العدو و لا يقتل الأسارى المسلمون ، و لكن إذا لم يتمكن هذا للجيش الاسلامى جاز له الهجوم على الأعداء ، و يتحمل هذا الضرر الخاص بشهادة الأسارى المسلمين ترجيحاً لمصالح البلدان الاسلامية كلها .

لم يكن فى قديم الزمان النظام الحربى مثل اليوم ، فكانت الغلبة آنذاك منحصرة على القوى البدنية و الهمم العالية و الفراسة و الاستراتيجية الحربية ، لا على الأسلحة المبيدة والقنابل المهلكة المدمرة، فلم تكن هناك حاجة لمثل النظام الحربى اليوم ، وكان المسلمون عندئذ يرون الجهاد فريضة محكمة عليهم من الاسلام فيقومون بواجباته ، لم يكن للجهاد جيش موظف ، بل كل فرد مسلم كان جندياً ، و يقوم بواجبات الجهاد فى الأحوال الطارئة ، و كل ما يحصل فى الحرب من

غنائم الأموال يوزع على المقاتلين ، و لكن فى العصور الآتية لما فترت دوافع الجهاد فيهم ، و أقيمت ثكنات عسكرية . و تكون نظام عسكرى بحيث يتوفر فيه جيش مستقل على وجه دائم ، مست الحاجة إلى تعيين رواتبهم ، و فرضت لذلك الضرائب على عامة الناس .

و لعل بعض الناس كانوا لا يرون هذا جائزاً ، و لكن الغزالى رحمه الله أفتى بجوازه مستدلا بأن مصالح البلاد الاجتماعية تتقاضى جوازه ، و إلا فيشتغل المجاهدون فى كسب معايشهم ، و يتسنح للأعداء الهجوم على البلاد الاسلامية .

العبرة لأهم المصالح

إذا ألقيت نظرة على هذا الكون الهائل الواسع تجد فيه كل شئ يحمل النفع و الضرر ، فمعنى رعاية المصالح النظر إلى جانب الغلبة ، و المثال الواضح لذلك تحريم الخمر ، يذكر القرآن بعض جوانبها المفيدة ، و يصرح فى جانب آخر بمضراتها و مفاسدها الغالبة فيها ، ثم يحكم على تحريمها لغلبة المفاسد فيها .

ذهب الامام مالك إلى أن رجلا إذا اتهم فى جريمة ، و هو لا يقر بها ، و لم تعد المحكمة خلال مرحلة التفتيش و البحث ، يجوز للقاضى - إذا رأى - أن يعزره قليلا ليعترف بجريمته إذا كان مجرماً فى الواقع ، لأن مصلحة المدعى تقتضى هذا ، و لكن أنكر الغزالى على هذا المذهب و قال : هذه مصلحة تعارضها أخرى ، و هى مصلحة المضروب ، فانه ربما يكون بريئاً من الذنب ، و ترك الضرب فى مذنب أهون من ضرب برئ ، قال العز بن عبد السلام الشافعى : إن الله تعالى راعى فى تعيين الكفارات و ترتيبها بأن يقدم ما هو الأهم و أكثر تعلقاً بمصالح الناس ، فأمر فى كفارة الصوم أولا أن تعتق رقبة،

فى هذا الحكم روعيت مصلحة المكفر أيضاً بحيث يصعب عليه العود فى هذه الجريمة بعد أن أنفق كمية كبيرة من أمواله ، و فيه منافع العباد و مصالحهم .

ذكر المفتى للديار المصرية العلامة شمس الدين محمد بن حمزة الحنفى أنه إذا تعارضت مصلحتان ، إحداهما لدفع الضرر و أخراهما لجلب المنفعة ، ترجح المصلحة الأولى ، لأن دفع المضرة عن أحد أهم من جلب المنفعة لآخر .

و استدل مفتى الديار المصرية من هذا الأصل لقول الحنفية الشهير بأن النكاح أهم وأفضل من التخلى للعبادة ، لأنه أغض للبصر وأحفظ للفرج والتجنب عن المعاصى أوفر أجراً من القيام للعبادات .

رد بعض الشبهات

لا تعنى رعاية المصالح أبداً أن تبقى الشريعة تابعة للعقل كلياً ، و يصبغ كل هوى بصبغة الدين ، بل يحافظ على مزاج الشريعة العام و روح الدين ، فلا تعتبر أى مصلحة إلا إذا أقرها الشارع وسوغه الكتاب والسنة ، و من الأسف البالغ أن بعض المتجددين اليوم ظنوا من رعاية المصالح فى الشريعة أن الشريعة تستطيع أن تتغير حسب كل هوى ، فأرادوا أن يخضعوها حسب أهوائهم .

و فى الصفحات الآتية نريد إيضاح مفهوم رعاية المصالح فى الشريعة .

المصالح لا الهوى :

المصلحة المعتبرة فى الاسلام هى ما قررته الشريعة ، وينسجم مع تعاليمها ، و ليس هوى الانسان و رغبته تقوم محل المصلحة ، و قد سبق أن ذكرنا تلك الأمور التى تدخل فى زمرة المصالح مع بيان مراتبها و أصول ترجيح بعضها على بعض .

قال الشاطبى — وهو يلقى الضوء على هذا الأصل — : « المصالح المجتلبة

شرعاً و المفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى ، لا من حيث أهواء النفس فى جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية»(١) .

و لذلك قصد الشارع أن ينقذ الانسان من مكايد النفس الأمارة بالسوء ، و يشغله بعبادة الله لا بتحقيق أهواء النفس : « فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات و الأرض و ما فيهن » .

وكثير من المصالح الشرعية لا تتيسر إلا أن يكوى بعض الناس بنار البلايا و التضحيات و الايثار كالجهاد و ما يشابهه من العبادات الاسلامية .

علاقة الدين بالدنيا :

إن الدين لا ينفصل عن الدنيا فى الاسلام بل هما مرتبطان معاً ، فليس من المعقول فى شئ أن يفهم بأن العبادات تعتبر فيها المصلحة الأخروية ، وتجرى فيها الأحكام الدينية ، أما المعاملات و الأمور التجارية فتجرى فيها المصالح الشخصية و الأهواء النفسية ، و ليست لها علاقة بالدين ، هذا خطأ فاحش ، لا نصيب له من الصحة ، إن الاسلام لا ينحصر كالأديان الأخرى فى داخل المسجد ، بل هو يقوم بتوجيه تعاليمه نحو الشئون الانسانية كلها .

ورداً على هذا الاتجاه الخاطئ يقول الشاطبى : لو كان الانسان حراً فى الشئون الدنيوية واعتبرت المصالح الذاتية لكان القرآن قد رد على عقائد المشركين فقط لا على غيرها من الأمور ، ولكانت الشريعة تتعلق بأمور الآخرة فحسب ، و لكن الشريعة أتت لاصلاح الدين و الدنيا معاً ؟ .

« يتبع »

(١) الموافقات ج ٢ ص ٤٨ .

نماذج من نساء العقيدة :

بركة (أم أيمن)

— ٢ —

بقلم : الأستاذ محمد حسن بريغش
عضو رابطة الأدب الاسلامى العالمية (الرياض)

و كانت أم أيمن تتابع أحداث الدعوة فى مكة ، و تعمل جهدها للتخفيف عن رسول الله ﷺ ، و لتثبيت القلة المؤمنة التى تواجه الدنيا بدين الله الذى ارتضاه للناس .

و بعد أن وصلت إلى المدينة المنورة علمت أن الدعوة أضحت فى طور جديد ، ولاسيما بعد أن أذن الله لنبيه ﷺ بالجهاد ، فراحت تعمل مع المؤمنات من المهاجرات لنشر الدعوة فى المدينة بين نساء أهل المدينة ، و كذلك تعين مع اخواتها المؤمنات صحابة رسول الله ﷺ على تبليغ الدعوة ، و إقامة المجتمع الجديد ، مجتمع الاسلام ، فكانت المدينة حينذاك تشهد مولد الدولة الجديدة و المجتمع الجديد الذى يسهم فى إنشائه الرجال و النساء فى نطاق الفرد ، و فى نطاق الأسرة و فى نطاق المجتمع .

كان كل يوم يمر يزيد من ارتفاع البناء واتساعه : الرجال يحملون الدعوة إلى قبائل المدينة و من حولها ، و يشتركون فى السرايا و البعوث التى تستطلع الأخبار ، و تحمى حوزة الاسلام .

و النساء ينقلن إلى البيوت تفاصيل الشريعة الجديدة التى ترسى دعائم العلاقات الانسانية ، و تحدد معالم التربية الفردية و الأسرية ، و تبين الأحكام الشرعية التى تهم الأفراد و البيوت و المجتمع .

فاذا بالنساء يتحولن إلى مربيات مسلمات ، و إلى صانعات للأبطال ، و حارسات لظهور الدعاة حتى لا يؤتى الاسلام من قبلهن ، و حتى لا تنفذ الجاهلية إلى بيوتهن . .

و انطلقت الدعوة تبنى هذا المجتمع ، و الوحى الالهى يتنزل كل يوم آيات و تشريعات و أحكاماً ، و محمد رسول الله ﷺ ينقل للمسلمين ما يأتيه عن ربه ، و يشرح لهم معالم الهداية فى كل الميادين و يعطى لهم من نفسه القدوة الحسنة ، و المثل الأمثل .

و لما ابتدأت قريش تسعى للصدام مع المسلمين ، يدفعها الطيش و الحمق و الشيطان ، كان المسلمون قد استعدوا لذلك بايمان قوى ، و عقيدة راسخة ، و بصفوف كأنها البنيان المرصوص حتى نصرهم الله ببدر .

و لكن الجاهلية الطاغية لم ينفعها هذا الدرس القاسى بل راح الشيطان ينفخ فى أوداج الطغاة للانتقام و استعدوا للقاء جديد ، و كان ذلك فى موقعة أحد .

وخرج المسلمون لملاقاة جيش حاقد ظالم، يبلغ أكثر من ثلاثة أضعافهم، و هناك كانت المعركة الخالدة عند جبل أحد . .

فى هذه المعركة علم الله سبحانه و تعالى المسلمين ، و على أرض المعركة بين الصخور و الرمال ، و على سفوح الجبال و بين الروابى و البساتين ، علمهم دروساً ظلت معهم إلى الأبد .

و لم تكن هذه الدروس بيانات تتلى ، أو تعليمات تبلغ ، و إنما كانت أحداثاً ، و دماءاً .

فى هذه المعركة خرج المسلمون بأعداد تبلغ سبعمائة منهم الكبير و الصغير، منهم الذى يريد أن يبلغ جنات الخلد ويشم رائحة الجنة (١) و منهم من تاقت نفسه لمغنم وظفر و وسام شجاعة و انتصار .

(١) أنظر سيرة ابن هشام (عن عمرو بن الجموح و خروجه) (٣—٤٠) ★

و لذلك دخلت أحداث المعركة إلى داخل نفوسهم و إلى أعماق نياتهم حتى يبين الله سبحانه و تعالى للمسلمين شروط النصر ، و طريق الجهاد الحق ، بعيداً عن لعاعات الدنيا ، و مغريات الناس (١) .

فلا غرابة إذن — كما قلت — أن نرى الصبية الصغار يترافعون على أطراف أصابعهم حتى يراهم رسول الله ﷺ فيأخذهم معه .

ولا غرابة أن نرى النساء يخرجن للمشاركة فى هذه المعركة ، و يحملن راية الجهاد و الدعوة مع الرجال .

كما لا غرابة أن نرى المشركين يخرجون نساءهم لهذه المعركة أيضاً ، حتى لكأن الله سبحانه و تعالى أراد أن يعلمنا على أرض هذه المعركة كيف يكون موقف المسلمين من المعركة ، كيف يخرجون ، و ماذا يسرون و ماذا يعلنون ، كيف يطيعون وكيف يضحون ، متى يقدمون و متى يحجمون ، ماذا يفعل البطل و كيف و ماذا يفعل الرجل و ماذا تفعل المرأة و كيف (٢) .

★ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد وكذلك قصة سعد بن الربيع واستشهاده (٣—٤٦) و قصة حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة (٣—٢٠) . و قصة أنس بن النضر (٣ — ٣١) و موقف الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ حينما انفض الناس .

(١) لقد أنزل الله سبحانه و تعالى فى أحد ستين آية من سورة آل عمران تصف ما كان فى هذا اليوم ، و تعاتبهم ، و تضع لهم معالم الطريق إلى يوم الدين من الآية (١٢١) آل عمران .

(٢) خرج مع جيش المشركين من النساء عدد كبير منهن : (هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان ، و أميمة بنت سعد بن وهب زوجة أبى سفيان أيضاً ، و خرجت برزة بنت مسعود الثقفى ، و البغوم بنت المعذ بن كنانة زوجتا صفوان بن أمية .

و خرجت سلافة بنت سعد بن شهيد زوجة طلحة بن أبى طلحة ※

فنساء المشركين كن يضربن على الدفوف و يغنين و يحرضن الرجال على الثأر ، و يذكرنهم قتلى بدر فى كل منزل ، ولما اصطف المعسكران رجعن خلف الصفوف و بدأن بتحريض الرجال ، و عند المعركة كن يقفن فى وجه الفارين يحرضنهم و يذكرنهم قتلى بدر (١) ، و ذكرت كتب السيرة و المغازى أشعاراً و أنا شيد قيلت فى هذه المعركة وخرج من النساء المسلمات فى هذه المعركة نسيبة بنت كعب أم عمارة و قاتلت قتالا عظيماً ، و صنعت من البطولة و الفداء ما لم يصنعه الأبطال (٢) .

و كانت شاهدة على هذه المعركة ، وترى كيف بدأت و كيف تحولت من نصر إلى هزيمة ، رأت أخطاء الناس و مواقف الأبطال ، حتى شهد لها رسول الله فى ذلك ، وها هى تصف مواقف النساء فى المعركة أيضاً .

قيل لأم عمارة : هل كن نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن ؟

※ و أم جهيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبى جهل و فاطمة بنت الوليد بن المغيرة زوجة الحارث بن هشام، وهند بنت منبه بن الحجاج زوجة عمرو بن العاص، وخناس بنت مالك أم مصعب بن عمير وأبى عزيز ابن عمير ورملة بنت طارق بن علقمة زوجة الحارث بن سفيان بن عبد الأسد، وأم حكيم بنت طارق زوجة كنانة بن على بن ربيعة وقتيلة بنت عمرو بن هلال زوجة سفيان بن عويف و الدغينة أم النعمان وجابر ابنا مسك الذئب، وعمرة بنت الحارث زوجة غراب بن سفيان بن عويف، أنظر المغازى للواقدى ١/٢٠٢—٢٠٣ طبعة عالم الكتب ببيروت، و انظر أيضاً كتاب (نسيبة بنت كعب للكاتب ص ٤٤ ط ٣ .

(١) المصدر السابق ٢—٢٢٣ . (٢) أنظر (نسيبة بنت كعب) للكاتب .

فقالت : أعوذ بالله ، ما رأيت امرأة منهن رمت بسهم و لا بحجر ، و لكن رأيت معهن الدفاف و الأكبار ، يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ، معهن مكاحل و مراود ، فكما ولى رجل أو تكعكع (أحجم و تأخر) ناولته إحداهن مروداً و مكحلة و يقلن : إنما أنت امرأة ، و لقد رأيتهن ولين منهزمات مشمرات — و لها (غفل) عنهن الرجال أصحاب الخيل ، و نجوا على متون الخيل — يتبعن الرجال على الأقدام ، فجعلن يسقطن فى الطريق ، و لقد رأيت هنداً بنت عتبة ، وكانت امرأة ثقيلة ولها خلقة قاعدة خاشية من الخيل ما بها مشى ، معها امرأة أخرى ، حتى كر القوم علينا فأصابوا منا ما أصابوا ، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قبل الرماة ، و معصيتهم لرسول الله ﷺ (١) و كذلك جاء بعض النساء المسلمات إلى المعركة ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه — : لقد رأيت عائشة بنت أبى بكر ، و أم سليم ، و إنهما لمشمرتان ، — أرى خدم سوقهما — تنقزان القرب على متونهما ، وتفرغانه فى أفواه القوم — ثم ترجعان فتملآنه ، ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم (٢) .

و قال عمر : كانت (أم سليط) تزفر لنا القرب يوم أحد (٣) .

فكان فى هؤلاء النسوة أم اليمن ، حاضنة رسول الله ﷺ ، و كان لها عملها العظيم أيضاً فى هذا الموقف العصيب ، إذ لما رأت فلول المسلمين يريدون دخول المدينة ، أخذت تحثو فى وجوههم التراب و تقول لبعضهم : (هاك المغزل ، و هلم سيفك (٤) حتى تدفع بهم للمعركة ، و تحثهم على الثبات ،

(١) المغازى ١—٢٧٢ .
(٢) الرحيق المختوم للشيخ صفى الرحمن المباركفورى ط ١٤٠٠هـ ص ٣١٠ ، و الرواية فى البخارى ١/ ٤٠٣ ، ٢/ ٥٨١ .
(٣) المصدر السابق و فى البخارى ١/ ٤٠٣ .
(٤) دلائل النبوة (٣—٣١١) .

و تذكرهم بما يجعلهم يخجلون من أنفسهم - و يخافون الله عز وجل و يعودون للمعركة ، و سارعت إلى ساحة القتال - فأخذت تسقى العطشى و تداوى الجرحى ، حتى رماها حبان بن العرقة بسهم ، فوقعت و تكشفت ، فأغرق عدو الله فى الضحك ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ - فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهماً لا نصل له - و قال : ارم به ، فرمى به سعد ، فوقع السهم فى نحرحبان - فوقع مستلقياً حتى تكشف ، فضحك رسول الله ﷺ - حتى بدت نواجذه ثم قال : (استقاد لها سعد ، أجاب الله دعوته (١) .

ولقد شهدت أم أيمن مشاهد أخرى مع رسول الله ﷺ ، حيث كانت تسهم فى انتشار الدعوة ، و تشارك فى مسيرة الجهاد ، فلقد شهدت حنيناً وخيبر أيضاً (٢) .

روى الواقدى عن عائذ بن يحيى عن أبى الحويرث أن أم أيمن قالت يوم حنين : (سبت الله أقدامكم) فقال النبى ﷺ : (اسكتى فانك عسراء اللسان) (٣) و هذا يدل على حضورها فى المعركة ، و متابعتها لأحداثها مما جعلها ترى ما حدث من خلخلة فى صفوف المسلمين فى أول الأمر ، حتى ناداهم رسول الله ﷺ وعادوا وثبتوا فى تلك المعركة .

و كشف ذلك عن هذه اللكنة فى لسانها مما جعلها تنطق الثاء سيناً .

حتى إنها كانت تدخل على رسول الله ﷺ فتقول : سلام لا عليكم .

و قد رخص لها النبى ﷺ أن تقول السلام ، حتى لا تقع فى هذا الحرج (٤) .

« يتبع »

(١) أنظر السيرة الحلبية (٢ — ٢٢٧) ط المكتبة الاسلامية فى بيروت ، ونشر دار الفكر ، و كذلك (الرحيق المختوم) ٣١٠ .
(٢) أعلام النساء (ج ١—١٢٧—١٢٨) ط ١٣٩٧هـ مؤسسة الرسالة .
(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٦ . (٤) المصدر السابق .

من أعلام الأدب الاسلامى :

باكثير فى ملحمة عمر

بقلم : السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى

١ــ مراحل تأليفه لها ــ وصفها و أجزاؤها :

يتبين لنا من المقدمة الموجزة التى يفتتح بها باكثير ملحمته ، بأنه بدأ كتابته لها سنة ١٩٦٣م ، و استمر فى عمله الجدى هذا سنتين كاملتين تفرغ فيهما لها فقط دون أى شىء آخر . .

و الذى يبدو لنا أيضاً أن المؤلف كان مندمجاً فى عمله ، بل إنه أخذ عليه مجامع نفسه حتى أصبح شغله الشاغل . .

انتهى باكثير من إنجاز كتابة هذه الملحمة عام ١٩٦٥م ، ــ كما يظهر لنا من تاريخ مقدمتها ــ وطبعت الطبعة الأولى عام ١٩٦٩م من قبل دار البيان الكويتى ، بعد أن أنهى كتابتها كاملة ، و بين أيدينا بعض الأجزاء من الملحمة نفسها ، طبعت فى مصر و الذى يبدو منها أنها كانت تطبع متفرقة ، أى بعد أن يفرغ المؤلف من كتابة جزء منها يقدمه للطباعة ، و من هذه الطبعة الأخيرة ، يتراءى لنا أن باكثير كان عازماً على إخراج ملحمته فى تسعة عشر جزءاً ، و هذا ما نراه مذكوراً ضمن قائمة مؤلفاته ، فى أواخر بعض مسرحياته ، و إذا ما قارنا بين سلسلة أجزاء ملحمة عمر المكتوبة فى آخر الأجزاء المتفرقة ، و بين السلسلة الكاملة وجدنا أن هناك جزءاً محذوفاً ، و هو الجزء السابع عشر ، و الذى جاء تحت عنوان : « فتح الفتوح » ، فإما أنه حذفه ، أو دمجه مع إخوته . . .

وهكذا صدرت لنا الملحمة بشكلها النهائى فى ثمانية عشر جزءاً ، و « ٢٥٧٣ » صفحة . . . و هــذا ما يؤكد لنا ضخامتها ، و ما بذل لها باكثير من جهد و وقت ، و هذا ما يعترف به باكثير نفسه عندما يفتتح مقدمته للملحمة بقوله : « الحمد لله الذى أمدنى بروح من عنده حتى أنجزت كتابة هذه الملحمة ، و ما كنت لأنجزها لولا عونه عز وجل و تيسيره . . . » .

٢ــ عرض موجز لمضمونها :

وضع على أحمد باكثير نتاجه هذا بين أيدينا فى مائة وستة وستين مشهداً ، وزعها على أجزائها الثمانية عشر ، و كان الجزء منها يضم ما بين الخمسة مشاهــد إلى الواحــد و العشرين مشهداً ، يختلف و موضوع الحوار الذى يدور فيه ، و لكنها مجتمعة كانت تسير فى تسلسل و انسياب مع حوادث التاريخ منذ الأيام الأخيرة لخلافة سيدنا أبى بكر الصديق و تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعــده ، إلى استشهاده مقتولا ، و تولى عثمان بن عفان الخلافــة رضى الله عنهم ، و قد قدم لملحمته فى طليعة جزئها الأول شكراً أزجاه لمن ساعدوه فى انجازها . .

« على أسوار دمشق » عنوان الجزء الأول من « ملحمة عمر » ، يبدؤه بالمقدمة التى تتألف من مشهدين . يرسم لنــا فيهما صورة واضحة للظروف التى دارت حول استخلاف ابن الخطاب ، و ما لاقى أبو بكر ــ رضى الله عنهما ــ من مشقة و هو على فراش الموت ، فى إقناع عمر أولا بالقبول ، ثم فى موافقة طلحة بن عبيد الله و من معه ، بعــد أن استأنس برأى العديد من الصحابة ، الذين أيدوه فيما ذهب إليه من اختيار بذل فيه أقصى مداه من الاجتهاد والنصيحة للمسلمين : و يورد لها بعد ذلك كتاب العهد الذى أملاه الخليفة الأول على عثمان

— رضى الله عنهما — ، و توصيته لعمر قبيل وفاته بانتداب الناس مع المثنى بن حارثة ، و يوصيه بحق الله عليه . . ثم كيف تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها و هو بين أولاده يردد : « و جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » « رب توفنى مسلماً و ألحقنى بالصالحين » . .

و بعد هذه المقدمة يدخل باكثير مباشرة فى سياق موضوعه ، الذى يقسمه لنا فى هذا الجزء إلى عشرة مشاهد ، الثمانية الأولى تدور كلها حول حصار مدينة دمشق من أبوابها السبعة ، هذا الحصار الذى دام ستة شهور ، و الذى بدأ فى خلافة أبى بكر الصديق (رضى الله عنهما) و كان خالد بن الوليد إذ ذاك أميراً على الجيش ، و معه العديد من أمراء الأجناد من بينهم أبو عبيدة بن الجراح ، الذى أمضى كتاب الصلح مع الروم من أحد أبواب المدينة، فى نفس الوقت الذى فتح فيه ابن الوليد بابا آخر عنوة . . و كان أبو عبيدة يخفى على خالد نبأ وفاة أبى بكر ، و تولى عمر الخلافة ، كما يخفى أمر عمر بعزل خالد عن امارة الجيش و تأمير أبى عبيدة مكانه . . ولبث هذا السر فى قلب أبى عبيدة حتى علم خالد من أحد جنوده بانتقال الخلافة إلى عمر، وهو فى مطاردته لجيش الروم على مشارف حمص ، وعندها عاد لتوه ليلتقى بأبى عبيدة بدمشق ، و ليبين له ابن الجراح جلية الأمر ، و يشرح له أن ما دفعه إلى إخفاء هذه الأنباء الهامة عنه ، هو الخوف من قيام فتنة بين المسلمين . .

و ينقلنا فى المشهد التاسع إلى حمص ، حيث نرى هرقل ملك الروم فى قصره مع زوجته وقائده بيودور ، ليطور لنا الأثر الكبير الذى سببه نصر المسلمين و مطاردتهم للروم بعد انتهاء مدة الصلح و أخذهم أسلحتهم و عتادهم ، مما دفع هرقل إلى العزم على الرحيل إلى انطاكية خوفاً على نفسه وأهله وملكه وماله . . .

و فى المشهد العاشر و الأخير نصل إلى بيت عمر الخطاب (رضى الله عنه) فى المدينة المنورة ، لنكشف تقشفه و زهده و إباءه عن طلب أى نقود من بيت مال المسلمين ، رغم عدم تفرغه لتجارته ، و ذلك لاهتمامه بأمر المسلمين . و كيف أنه كان ليستدين حتى يؤمن قوت يومه ، و لكن عبد الرحمن بن عوف — الذى كان يستدين منه عمر كلما احتاج إلى نقود — أخبر الصحابة فاجتمع عثمان و على و طلحة و الزبير وسعد وسعيد بن زيد و ابن عوف و دخلوا على عمر ، و كانت أول مرة يخاطبونه فيها باسم أمير المؤمنين ، و يصارحونه بأنه يجب عليه أن يأخذ من بيت المال ما يصلحه و يصلح عياله بالمعروف ، كما كان يفعل أبو بكر قبله إلا أنه أبى أن يأخذ شيئاً من ذلك نظراً ما أكرمه الله به من قلب كبير خاشع لله تعالى .

و فى هذه الأثناء يصل بشير الفتح رسول أبى عبيدة من الشام ، و معه كتابان : واحد من خالد لأبى بكر — الذى لم يكن يعلم بوفاته — ، و واحد من أبى عبيدة لعمر ، و فيهما استشارة فى أمر دمشق ، هل تعتبر جميعها صلحاً ، أم أن بعضها صلح و بعضها عنوة ، و بعد اختلاف بسيط يجتمع الرأى على جعلها كلها صلحاً كما فعل أبو عبيدة . . ثم يدور حوار قصير فى أمر انتداب للسير إلى العراق مع أبى عبيدة . . و يختمها لنا بقرار عمر ، بعد أن أشار عليه أصحابه ، بالتعجيل فى ارسال جيش النجدة للمثنى بن حارثة . . .

و أول ما تطالعنا به « معركة الجسر » — التى هى عنوان الجزء الثانى ، و المكون من ثمانية مشاهد — وصول أبى عبيد على رأس جيش الانقاذ الذى أرسله أمير المؤمنين ، المشهد الأول : صورة دقيقة لاستقبال المثنى بن حارثة و زوجه سلمى و أخيه المعنى و زوجته الأميرة الفارسية المسماة شيرين ، لأبى عبيد

الذى أمره عمر على جيش العراق مكان المثنى و كيف كان وقع خبر العزل على سلمى التى تفتخر بزوجها وشجاعته ونسبه و مكانته فى قبيلته . . . ثم قدوم مسعود ابن حارثة وأخباره للجميع بعبور جابان الفرات بعشرين ألف جندى . . ويستقر رأى الجميع على أن بياغتوا الفرس قبل أن بياغتوهم .

ينتصر المسلمون فى المشهد الثانى على الفرس فى وقعتى النمارق وكسكر و يجرح أبو عبيد و قد أبلى بلاء حسنا ، بعـد هزم نرسى و جابان ، ثم أبرم مع أهل السواد عهداً على ألا ينقضوا العهد و يتعاملوا مع الفرس مرة أخرى . . . و يظهر لنـا فى هذا المشهد المعاملة السيئة و القسوة و الاضطهاد ، التى يعامل بها الدهاقين الفرس الفلاحين العرب ، و فى الأخير يقبض المسلمون على جابان متخفياً بزى شيخ من فلاحى السواد ، غير أنهم لا يقتلونه نظراً لأن واحداً منهم قد أمنه و أجاره قبل أن يعرفه فيطلقون سراحه . .

و ننتقل فى المشهد الثالث إلى جو تعبق فيه أنواع العواطف . . . فى مقصورة من ديوان كسرى بالمدائن ، حيث يتنافس على حب بوران ابنة كسرى رستم و الفيرزان . . . أما هى فتصرح بعاطفتها الصادقة لرستم الذى كانت لهـا به علاقة غير مشروعة أنتجت ابنهما فيروز .. وهى مع حبها له تتمنع عليه ايثاراً لمصلحة أسرتها أسرة ساسان إذ تطلب منه كشرط لزواجها به رسمياً ، أن يكون ذلك بعد انتصار الفرس على المسلمين . . . أما الفيرزان فيكاد يحترق من الغيرة و هو يكتم حبه لها ، و يحاول الانتقاص من رستم . .

ونسمع فى المشهد الرابع حواراً بين المثنى و المعنى وسليط بن قيس وبشير بن الخصاصية ، فى محاولة لحمل أبى عبيد على العدول عن رأيه فى عبور المسلمين

إلى الضفة الشرقية حيث جموع الفرس ، و لكنه يظل متشبثا به . . . حيث تقع المأساة . . .

و فجأة ينتقل بنا المشهد الخامس إلى المدينة المنورة ، لنرى عمر بن الخطاب و عنده جماعة من أهل الشورى ، و عبد الله بن زيد يصف لهم نكبة المسلمين فى موقعة الجسر ، و استشهاد أربعة آلاف مجاهد غرقاً فى مياه الفرات ، و كان بين من استشهد أمير الجيش أبو عبيد ، ويستدعى الخليفة معاذاً القارى — الذى كان ممن نجوا من معركة الجسر ، فيحضر و هو خجلان لا يكاد يرفع رأسه ، فيأخذ بيده و يجلسه إلى جواره . . وهنا يظهر من ابن الخطاب — المشهور بشدته وقوة وطأته — جانب من أعظم جوانب شخصيته الفذة ، جانب الرحمـة و الحكمة و استشعاره الأبوة للرعية جميعاً :

معاذ : (بصوت يخالطه البكاء) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : و عليك السلام يا أخا الأنصار و رحمة الله . . . . و يحك يا معـاذ ، ملا جئتنى فسلمت على يوم قدمت المدينة ؟ . . . . . .

معاذ : من مجيرى يا أمير المؤمنين من قوله تعالى : « و من يولهم يؤمئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ، و مأواه جهنم و بئس المصير » ؟ .

عمر : أنا مجيرك يا معاذ ، أنا فئتك ، و إنما انحزت إلى .

معاذ : و أين كنت منى يؤمئذ يا أمير المؤمنين ؟ .

عمر : أنا معكم فى كل حين يا معاذ و فى كل مكان ، اللهم كل مسلم فى حل منى . . أنا فئة كل مسلم . . من لقى العدو فقطع بشىء من أمره فأنا له فئة . . .

هذه هى الروعة و الرحمة و الحكمة . . إنه برحمتـــه بشرهم و كشف الهم عن صدورهم و أنه بحكمته حفظهم ليكونوا عدة للذهاب للجهاد من جديد ، مع من انتدبهم لذلك و كان من بين مؤلاء جرير بن عبد الله البجلى و قبيلته . . . و يختم هذا المشهد بقدوم رسول أبى عبيدة من الشـام يبشره بنصر المسلمين فى نخـل . . .

أما المشاهد الثلاثة الباقية فتدور بمنطقـــة البويب حيث نزل المثنى بجيش المسلمين على الضفة الغربية من نهر الفرات . . . و الفرس فى الضفة الأخرى يقودهم مهران الهمذانى . . و أول ما يطالعنا دخول جاسوس من العدو عـــلى شيرين و هى فى خبائها يحمل لها رسالة مكتوبة من بوران ، و رسالة شفوية من قائدة مهران يطلب فيها أن تعينه على الخلاص من المثنى ، وتظهر لنا هنا المفارقة الهائلة بين المسلمين و الفرس فى معاملة الناس إذ نجد شيرين تقتل هذا الرسول الذى غامر بروحـــه ليؤدى رسالته ، و ذلك ليبقى أمرها مستوراً و تنفى عن نفسها التهم . . .

و ننتقل إلى الاعداد لمعركة البويب . . . فهذا المثنى ينادى سادات الحرب بأسمائهم ، و يكرمهم و يلاطفهم و يبين لهم أنه لم يرجع عليهم سواهم فى قيادة دفة الحرب إلا لخبرتهم و معرفتهم بساحـــة المعركة ، فتطيب نفوسهم . . . ثم يتولى توزيع قواده على مواقعهم ، ويرسم لهم الخطة العسكرية التى تؤمن للمسلمين مزيداً من النصر و المغانم . .

وبعد أن يهدأ لهيب المعركة ، نرى مسعود بن حارثة جريحاً مدنفاً ، وعنده شيرين ترعاه ، فيتوسل إليها أن تهتم بجرح أخيه المثنى الذى جرحه يوم الجسر ، و الذى يخفيه حتى على زوجته ، و ينام من وطأة الحمى . . . فتنتحى هى ركنا

بعيداً فى الخيمة ، وتجهش بالبكاء ، و تعيش صراعاً نفسياً قوياً ، و تناجى نفسها : آه من هذا الذى فى صدرى . . أى عذاب و أى ألم . . . لكأنما أطعن بخنجر ذى حدين ، يا لعذابين فى قلبى يصطرعان أيهما أشد تمزيقاً له : خيانتى للمسلمين يوم الجسر ، و خيانتى لقومى اليوم ؟ يا إلهى أمسلمة أنا أم فارسية ؟ . . .

و يقطع عليها نجواها دخول المعنى و المثنى وبشير ، ليسمعوا مسعود الذى بقى اهتمامـــه بشئون المسلمين مستيقظاً أبداً لا ينام ، و الذى انتقل من دائرة الشعور و الوعى إلى دائرة اللاشعور إذ يستمر فى الكلام و هو فى غيبوبته : « يا معشر بكر بن وائل . . ارفعوا رأيتكم رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعى . . » .

كما نرى أنس بن هلال المسيحى العربى يقاتل مع المسلمين ، ترعاه سلمى زوجة المثنى بنفسها بعد أن جرح حتى إذا صحا من اغماءة الجرح و رأى المثنى سالما و بعد أن فرح لمقتل مهران على يده ، صاح ، : « و الله ما سعدت يوما فى حياتى ما سعدت اليوم ، إذ انتصفتم لنا من فارس ، إن العربى لن يسجـــد لكسرى بعد اليوم ولا لقيصر . . إنى أموت قرير العين . . . . . » . وما هى إلا لحظات حتى نرى مسعود بن حارثة يسلم روحه لله أيضاً ، وعلى وجهه أمائر الاعتزاز بربه و دينه و أمته . . .

و يغالب المثنى ألمه المبرح ، بابتسامة الايمان و الصبر ، و يستمر فى اهتمامه بأمر المسلمين متسائلا عن القائد الجديد وصفاته ، فيخبره المعنى بأن أمير المؤمنين قد اختاره هو و أثنى عليه ، مع العـــديد من الصحابة ، ولولا اعتراض المعنى لتمت له الامارة . . فيستبشر و يحمد الله ، و يموت قرير العين ، و تنتقل بموته شمعة من شموع المسلمين من الأرض إلى السماء لتصبح كوكبا متألقا بين أعـــلام الخالدين من المجاهدين الشهداء فى سبيل الله . . .

و نسير مع خالد متشوقين إلى البلقاء قرب اليرموك ، حيث اجتمعت جيوش المسلمين فى صعيد واحد ، وقد جعلوا البريدة خلف ظهورهم لتصل إليهم البرد و المدد لنشاهد « أبطال اليرموك » و هم يخوضون هـذه المعركة العظيمة الحاسمة فى التاريخ — إنه الجزء الرابع — .

يدور هذا الجزء حول خمسة مشاهد كلها وصف للمعركة و أبطالها فى المعسكرين الاسلامى و العدو .

أصدر أبو عبيدة أمره الصارم لأمراء الأجناد بالسمع و الطاعة لابن الوليد ، ولو خالف كل رأيه ، . . فيجمع خالد أمراء الأجناد ويشرح لهم بأنه خدع الروم باظهاره أن المسلمين هابوا حشودهم ، فتركوا المدد هاربين إلى تخوم البرية . . فاستخف بهم الروم و أسرعوا منشالين من كل فج ، ليلحقوا بهم و تفخر كل فرقـة بأنها شاركت فى هزيمة المسلمين . . . و هكذا اجتمع من العدو بين المائتين و الخمسين ألفاً ، و الثلاثمائة ألف . . و كان مراد خالد أن يلقوهم جميعاً فى هذا المكان ، ليضربوهم ضربة قاصمة ، تكون أعود على المسلمين بالخير إذا انتصروا ، و أهون ضرراً إذا انهزموا ، و ما هم بمنهزمين باذن الله . . و يطلب من أمراء الأجناد الصبر تاركين له المكيدة ، التى خص بشرحهـا أبا عبيدة لأمير المؤمنين . . و فحواها استدراج الروم إلى السهل المحصور بين وادى العلان و وادى الرقا و نهر اليرموك ، بينما يقوم المسلمون على فم السهل فيكونون فى سعـة و يكون الروم فى ضيق ، و لا يكون لهم مهرب إلا إلى الواقوصة ، تلك الأهوية الخطرة ، فيساقطون فيها حين يدهمهم الفزع . .

« يتبع »

أخبار ثقافية و اجتماعية :

جائزة الملك فيصل لعام ١٤١١ه

معالى الدكتور عبد الله بن عمر نصيف ينال جائز الملك فيصل لخدمة الاسلام ، لعام ١٤١١ه

أفادت الأنباء الواردة من مكة المكرمة بمنح معالى الدكتور عبـد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام لعام ١٤١١ه ، و ذلك إزاء المجهودات المخلصة التى بذلها فى سبيل خدمة الاسلام بنواحيها المختلفة .

فقد تمثلت جهوده فيما بذله من أنشطة متواصلة قبل توليه الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى بين الشباب الجامعى وفى مختلف الندوات و اللقاءات الاسلامية .

أما بعد توليه الأمانة العامة للرابطة فقد تحقق بفضل جهوده المخلصة وحيوته ونشاطه كثير من مناهج العمل الاسلامى فى الرابطة لخدمة المسلمين فى مختلف الأقطار ، كما بذل جهوداً كبيرة لدراسة أوضاع الأقليات الاسلامية وحل مشكلاتها و قضاياها ، و برز فى مشروع الاغاثة الاسلامية المعروف بسنابل الخير لانقاذ الجموع الفقيرة فى أطراف العالم الاسلامى من الفقر و الجهل و المرض .

و إن أسرة ندوة العلماء فى الهنـد وصحافتها الاسلامية تشارك الشرائح و القطاعات العالمية كلها فى إبداء الفرح على هذه الجائزة الموفقـة و المباركة ، و تقوم بتقديم تهانيها القلبية الخالصة على هذا الشرف العلمى و الدعوى الذى ناله معاليه بجدارة و أهلية كاملة ، كما تهنئ جميع الأساتذة الذين تشرفوا بهـذه الجائزة ، و هم الأستاذ احمد محمود نجيب ، و الأستاذ عبد التواب يوسف من مصر ، و الأستاذ على عبد القادر الصقلى من المغرب .

تجمع إسلامى كبير فى القاهره بعد حرب الخليج

المؤتمر العام الرابع للشئون الاسلامية

عقـد المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مؤتمراً عالمياً حول مأساة الخليج تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك فى القاهرة فى الفترة ما بين ٢٥ — ٢٧ — ابريل ١٩٩١م (١٠—١٢ شوال ١٤١١ه) ابتداءاً من يوم الخميس ، وكان شعار المؤتمر « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ألقى فيه الدكتور عاطف صدقى كلمة الافتتاح نيابة عن فخامة الرئيس المصرى ، و قد أجمع المؤتمرون على أن المؤتمر كان أكبر تجمع إسلامى عالمى فى خلال عشر سنوات ، و يعتبر هذا المؤتمر ذا أهمية خاصة حيث إنه عقد فى ظروف خاصة أحاطت بالأمة الاسلامية و العربية بعد حرب الخليج .

و صرح معالى وزير الأوقاف المصرى بأن المؤتمر قد دار حول مستقبل الأمة العربية و الاسلامية بعد حرب الخليج فكان فى الواقع دعوة إلى وحدة الصف و وحدة الهدف و المصير بعد مأساة التمزق و التشتت و الانقسام التى لحقت بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها والتى تسبب لها صدام حسين الذى لا يزال وصمة عار على جبين التاريخ الاسلامى و العربى .

و قد تكرمت وزارة الأوقاف المصرى فوجهت الدعوة للحضور فى هذا المؤتمر إلى سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى للاسهام فيـــه و الافادة بدراساته و آرائه و توجيهاته ، فانتهز سماحته هذه الفرصة و أعد بحثاً قيماً للمؤتمر حول الموضوع يذكر فيه مصر بدورها التاريخى فى نصرة الأمة الاسلامية ، دور كنانة الاسلام ، وناشدها أن تخرج من حصارها المفروض عليها ، و تقود العالم الاسلامى كما قادت فى الماضى ، و استعرض سماحته الظروف و عواقبها ، و اكتشف الثغرات و الفجوات فى الكيان الاسلامى ، وقام بتعيينها ،

وشرح طرق معالجتها فى خلفية الأحداث التى مر بها العالم الاسلامى كلـه ، فان العالم العربى قلب للعالم الاسلامى ، ولا يحلو العيش إذا كان القلب متألماً ، فكيف يستقر العـالم الاسلامى إذا كان العالم العربى و فيه الحرمان الشريفان ، و القبلة الأولى ، مضطرباً ، فليست مشكلة أى بلد عربى ، مشكلة عربية صرفة ، و إنما هى مشكلة إسلامية و مشكلة عالمية و حيث إن صلة المسلمين بالعـالم العربى صلة شعورية و قلبية فالقضية تصبح قضية شعورية و قلبية ، يضطرب لها كل مسلم فيه أضعف الايمان .

أرسل سماحته هذا المقال القيم إلى المؤتمر بواسطة أحـد تلاميذه و هو الدكتور محمد يونس النجرامى الندوى ، الذى قدمه نيابة عن سماحته ، فكان له أثر طيب وأعجب به المؤتمرون وجعلوه موضع دراستهم وتفكيرهم بوجه خاص .

اجتماع هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين فى الهند

تعقد اجتماعاً خاصاً لأعضاء المجلس التنفيذى

فى اليوم الثامن من شهر مايو ١٩٩١م الموافق ٢٢/ شوال ١٤١١ه اجتمع أعضاء المجلس التنفيذى لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند فى رحاب ندوة العلماء بمدينة لكهنؤ ، على دعوة من سماحة رئيسها العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى لدراسة ظروف الهيئة و انجازاتها خلال الأشهر الماضية فى مجال الأحوال الشخصية ، وخاصة بعد وفاة العلامة المرحوم فضيلة الشيخ منة الله الرحمانى أمين عام الهيئة .

وفى جلسة عقدت برئاسته سماحة الشيخ الندوى رئيس الهيئة العام تم اختيار فضيلة الشيخ نظام الدين عضو المجلس التنفيذى كأمين عام للهيئة موقتاً ، ريثما يتم الانتخابات الجديدة للهيئة فى الاجتماع القادم الذى سيعقد بعد شهرين فى الجامعة المحمدية بمدينة مالیغاؤن و ذلك باستضافة من فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى أمين عام الجامعة المحمدية و عضو الهيئة الشخصية لأحوال المسلمين

سعادة الأستاذ محمد سعيد العامودى فى ذمة الله

نعث الأنباء الواردة من مكة المكرمة سعادة الأستاذ الكبير و الأديب الشهير الأستاذ محمد سعيد عمر العامودى فى شهر رمضان الكريم لعام ١٤١١هـ بمكة المكرمة ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان الفقيد من أدباء المملكة الاسلاميين ، يقتدر على ناصية الكلام و البيان ، و لقد أسس مجلة الحج فى الأربعينات و قام باصدارها بكل كفاءة وجدارة ، وظل يصدرها إلى مدة طويلة بهذا الاسم ، و كانت لسان حال إدارة شئون الحج و الأوقاف فى المملكة .

ثم دخلت المجلة فى طور جديد و تطورت فى كل من المظهر والمخبر وأصبحت نموذجاً للصحافة الاسلامية المتطورة ، فرأس الأستاذ العامودى تحريرها و كسب لهـــا قراء و معجبين ، بموادها الدسمة ، و بحوثها العلمية و دراساتها المنوعة و إحصائياتها الدقيقة مما يتعلق بشأن الحج و الحجيج ، و بذلك كان من كبار منسوبى وزارة الحج و الأوقاف و مرتبطاً بها إلى آخر لحظات حياته .

كما كان الفقيد شديد الاعجاب بسماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى وصحافة ندوة العلماء الاسلامية العربية ، و من المواظفين على متابعتها ، و طالما كان يبعث كلمات التقدير و الثناء على ما تقوم به ندوة العلماء من مجهودات ضخمة فى سبيل البعث الاسلامى ، و التربية العلمية و التوجيه الدينى ، بقيادة رجلها العظيم سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، الذى كتب عن شخصية مقالا رائعاً فى مجلة الحج فى أوائل الخمسينات ، و أبدى إعجابه به بأسلوب أدبى بليغ .

رحمه الله رحمة واسعة ، و أدخله فسيح جنـاته ، و ألهم أهله و ذويه و الأمة الاسلامية الصبر والسلوان .